العام الثالث

فاروق الجمل

العام الثالث / رواية

فاروق الجمل

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٢٩٢٥١٥٩٢ – ٠١٨٢٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

تدقيق لغوي :

أحمد منتصر

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١٧٤١

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٦٢٩٧-٤٠-١

العام الثالث

رواية

فاروق الجمل

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

إلى ملهمتي .. روحي التي تسكن جسدًا غير جسدي ..

إلى الاسم الذي ينطق قلبي به ليل نهار.



ملحوظة

أي تطابق أو تشابه بين شخصيات هذه الرواية و شخصيات في الواقع هو تشابه غير مقصود .

العام الأول

أول شيء كان يعلمه الكاهن للأمير في مصر الفرعونية هو كيفية كتابة اسمه بحروف من ذهب في التاريخ .. كان يعلمه كيف يصنع الخلود لنفسه .. كيف يصنع أشياء تبقى إلى نهاية الكون.



١

عندما تخرجت يا خالد من كلية الآداب شعرت بأن الدنيا كلها تبتسم لك وعندما فشلت في الحصول على وظيفة شعرت بأن الدنيا كلها تلعنك وتلعن أباك.

كانت الفترة التي قضيتها في المترل بعد التخرج هي الأسود في حياتك لم تكن تقبل أن تحصل على فلوس من أبيك أو أمك ولو حتى على سبيل السلف.

كنت تحلم بوظيفة محترمة تناسب أحلامك على الأقـــل .. وعندما طال الانتظار ويأست من أن يأتي الفـــرج قـــررت أن تبحث عن وظيفة، أية وظيفة .. فكل ما تريده الآن هو أن تأتي بثمن علبة السجائر الكليوباتر ونفقاتك الخاصة.

لهذا نزلت إلى الشارع . بحثت في كل المحال التجارية وغير التجارية عن وظيفة لكنك لم تجد .. ظللـــت تبحـــث حـــتى أصبحت على يقين أن الفرج لا يعرف الفقراء .. لأن الفقـــراء كتب عليهم أن يكونوا فقراء.

بعد ما يقرب من شهر ونصف من البحث المستمر وجدت فرصة عمل بأحد قهاوي وسط البلـــد .. في البدايـــة كنـــت مسؤولا عن حسابات القهوة، و لكن مع الوقت وتكرار غياب الكثير من العمال أصبحت تعمل الكـــثير مـــن الأعمـــال، لم

تعجبك من كل الأعمال "القهواجية" سوى شـغل الشيـشة، كونك صاحب مزاج عالٍ وشريب شيشة من الطـراز الأول جعلك تتفوق على من هم أقدم منك.

عندما تشاجرت مع صاحب القهوة ووقعت بينكما خناقة لرب السما بسبب أنه قال لك أمام صحفية كانت تجلس دائما على القهوة وكنت معجبا بها " إنت يا حمار بطل رغي وشوف أكل عيشك " قررت أن تترك القهوة.

فشلت بعد ذلك في الحصول على نفس الوظيفة في مقهـى آخر، مما جعلك تقبل بوظيفة عامل شيشة بقهوة عـم سـعيد وهي واحدة من أهم قهاوي المثقفين بوسط البلـد .. حـسن معاملتهم لك وتواضعهم المبالغ فيه كان يخفف عليك، بـل إن استقبالهم لك بحفاوة كصديق عند اللقاء بقهوة أخرى كـان يجعلك تشعر بالفخر والزهو.فلم يخطر ببالك قـط أن تكـون صديقا لمثل هولاء، كم من مرة شاهدت فيها واحدا منهم على الشاشة وأنت جالس مع أصدقائك الذين حصلوا على وظائف أفضل منك بكثير وقمت بالاتصال بهم عقب الحلقـة لتثبـت لأصدقائك أنك لست أقل منهم؟

كم من مرة اصطحبت أصدقاءك للجلـوس مـع هـولاء المشاهير؟..كم كنت تشعر بالزهو والفخر وأنت ترى نظرات

الإعجاب في عيون أصدقائك.يبدو يا خالد أنك نسيت طبيعة العمل الذي تعمل وأخذت تندمج أكثر في ذلك العالم الجديد عليك .. المحبب إلى قلبك، أحببت ما يكتبون، كنت تنتظر بشغف كل ما هو جديد..تنتظر تلك الكتب التي تحمل توقيعهم مع إهداء خاص لك.اكتشفت يا خالد في نفسك أشياء جديدة، كقدرتك على التعبير عن رأيك في صورة مقالات نشرها لك أصدقاؤك الجدد في الجزء المخصص للقراء بالصحف التي يعملون بها.كل هذا جعلك تشعر بأنك واحد منهم .. فجميعهم يحبونك وأنت أيضا تحبهم جدًا.اكتشفت فيهم عالما جديدا عليك..عالم لم تكن تتخيل أنه موجود بتلك الحياة التي تعيشها..كم من قصص يا خالد سمعتها منهم..كم من الأسرار أبيحت لك..كم من مرة سمح لك تدخلك لحل بعض مشاكلهم بالتعرف بمزيد من أسرار حياتهم الشخصية.

ليس هذا فقط، بل كانت حفلاتهم الخاصة التي تحضرها في بيوتهم مصدرا خصبا للمزيد من أسرار تلك الفئة التي لم تتعرف بها إلا من خلال "حجر الشيشة".

عرفت الكثير والكثير وأنت مجرد عامل شيشة، والآن بعد أن أصبحت واحدًا منهم فقدت جزءًا كبيرًا من متعتك في التعرف بالمزيد من أسرارهم.

تعرفت بالكثير يا خالد .. تعرفت بأشياء ما كان عليك أن تعرفها ، لهذا يجب عليك أن تتحمل مسئولية ما حدث.

٢

في بداية عملك بقهوة "عم سعيد" كنت تشعر بحالة من الإحباط لأن الأمور تدهورت بك، فبعد أن كنت مسؤولا عن حسابات "قهوة الفرسان" أصبحت الآن مجرد عامل شيشة.

ظللت تشعر بالإحباط لأكثر من أسبوعين حتى بدأت في الاندماج بتلك الحياة شيئا فشيئا.

لم يكن رواد مقهى عم سعيد كغيرهم من رواد المقاهي..معظمهم كان من المثقفين والصحفيين والأدباء والشعراء والفنانين بشتى أنواعهم وأشكالهم.

كان هناك عدد كبير منهم يا خالد تعرفه جيدا .. كثيرا ما شاهدتهم في التليفزيون.

كانت هذه النقطه هي نقطة التغيير في حياتك ، فبعد أن كنت ناقما على حياتك وعملك أصبحت تذهب مبكرا إليه، منتهزا أية فرصة للحديث مع "آلهتك المقدسة"، نعم يا خالد كانوا بمثابة "آلهة" لك. حتى قبل أن تراهم.

منذ نعومة أظفارك يا خالد وأنت تحب القراءة .. عندما كبرت أصبحت تتابع المقالات في الصحف، كنت تعرف مواعيد مقالات كتابك المفضلين في الصحف المختلفة.

هل تتذكر يا خالد الصفقة التي عقدتها مع عم حسين بائع الكتب الذي يضع فرشته على ناصية الشارع..اتفقت معه على

أن تحصل على الكتب منه بالتقسيط وبأسعار مخفضة مقابل أن تعيدها له مرة أخرى بشرط أن تحافظ عليها جيدا حتى يتمكن من إعادة تغليفها وبيعها مرة أخرى "للزبائن الطياري"؟.

قرأت الكثير وأعدت لعم حسين الكثير..كنت تحتفظ فقط بالروايات التي تعجبك وتثير اهتمامك منذ السطر الأول .

كثيرا ما حلمت بالجلوس مع آلهتك المقدسة ولـــو لبــضع لحظات، لم تكن تتخيل أنهم بشر مثلك، يفعلون مثلما تفعـــل ويأكلون مما تأكل.

الآن يا خالد وأنت جالس معهم تشعر بمزيد مـــن الزهـــو والفخر..صرت ترى الحياة بزاوية مختلفة فأنت تنظر إلى العـــالم وأنت في رحاب الآلهة.

كان هدفك الأساسي هو التعرف بطارق إسماعيـــل ذلـــك الصحفي الأربعيني المشهور والذي يقال عنه إنه أفضل صحفي في هذا العصر..اقتربت منه كثيرا وتحدثت معه أكثر لكنـــك لم تكتسب صداقته بعد، فالرجل كان يخاف الغرباء جدا ويتعرف بالناس في أضيق الحدود الممكنة.

لهذا قررت أن تصل إليه عن طريق أصدقائه.

كانت لديك خطة لتغيير حياتك لم يعرفها أحد واستطعت بذكائك أن تخفيها عن الجميع..لم تكن قهوة عم سعيد سوى مرحلة في حياتك..كنت تتمنى أن تكون بوابة الانطلاق نحـــو مستقبل أفضل..نحو حياة جديدة تكون فيها "خالد إبراهيم".

خالد إبراهيم الذي كنت تراه أهم بكثير من كونه عامل شيشة..كنت تراه واحدا من العظماء والآلهة.

كنت تسعى لهذا يا خالد، والآن بعد أن أصبح "خالد إبراهيم" إلها وله دراويشه وعشاقه، أتى وقت الحساب ويجب عليك أن تدفع الفاتورة..فهل في جعبتك يا خالد ما يكفي لدفع الفاتورة؟

٣

نور أحمد..

صحفية بإحدى الصحف المستقلة اليومية..فتاة بسيطة تنتمي لأسرة ميسورة الحال..أجمل ما في نور أنها تعيش حياتها وفقا لرؤيتها..لا تهتم بكلام الناس، ولا تشغل بالها بهم مطلقا وكأنهم سراب من حولها.

نور لديها ثلاثة أشياء لا تستطيع العيش بدونهم..صوت فيروز وأشعار نزار قباني والروايات الشبابية التي يكتبها أبناء جيلها.

احتفلت منذ أشهر قليلة مضت بعيد ميلادها السادس والعشرين، لم تكن لها سوى تجربة عاطفية وحيدة وهي في العشرين من عمرها..أحبت صحفيا كانت تراه هي الأخرى إلها..وقف إلى جوارها كثيرا ساعدها في أن تثبت للجميع أنها ستكون واحدة من أهم علامات الصحافة.

كان حبيبها يكبرها بخمس عشرة سنة..في بداية حبها له كانت تحتفظ بهذه المشاعر بداخلها، كانت تخاف من أن تفسد هذه المشاعر علاقتها بأستاذها وحبيبها.

تعرفت يا خالد بنور من خلال قهوة عم سعيد..لفتت انتباهك بجمالها المتواضع وملابسها التي تكشف عن جسد ثائر يبحث عن نصفه الآخر.

كانت تجلس بمفردها بصورة شبه دائمة تكتب وهي تشرب شايا بالنعناع وشيشة سلوم.

كانت قليلة الكلام ولكن هذا لا يمنع من أنها كانت تعاملك أفضل معاملة، فمن وقت لآخر كانت تتحدث معك..كنت ترى السعادة في عيونها عندما تطلب منها أن تقول لها وجهة نظرك في تقرير أو تحقيق كتبته.

كانت تستمع لك وكأنك خبير في المهنة..لم تشعر قط أن كلامك قد أصابها بضيق، على العكس تماما كانت تناقشك وتحاول أن توصل لك وجهة نظرها.

قراءتك الكثيرة وحرصك على أن تصل إلى أعلى مستويات الثقافة جعلها تحترمك كثيرا.يوم أن قالت لك "إنت خسارة في الشغلانة دي" شعرت بأنك بدأت في إثبات ذاتك..في الوصول إلى حلمك.

الأيام يا خالد وحدها جعلتك تكسب صداقة نور..الأيام وحدها هي التي جعلتك تقتحم نور، تحطم عزلتها. تشاركها معظم وقتها إلى أن أصبحت صديقها المفضل.

كنت تعد نور بمثابة أول خيط الوصول لـ"كبير الآلهة"..زيوس العظيم كما كنت تفضل أن تسميه، زيوس أو طارق إسماعيل الذي كنت تخطب وده في كل لحظة، لكن هناك شيء ما كان هناك يحول دون الوصول إليه.

قالت لك نور ذات مرة حينما لاحظت أنك دائم توجيه النقد إلى من تراهم قد شذوا بسبب تصرفاتهم التي تعدها مخالفة للأعراف التي تربيت عليها "الاحترام الحقيقي هو إنك متتدخلش في حياة الناس وتسيب كل واحد في حاله طالما إنه مش بيتدخل في حياتك"..علمتك نور يا خالد احترام حرية الآخرين أن تتقبل الآخر كما هو إذا كنت تريده أن يتقبلك كما أنت فلكل شخص تفكيره ومعتقداته التي يجب عليك احترامها كي يحترم هو الآخر معتقداتك.بالرغم من أنك قرأت الكثير إلا أنك سمعت من نور لأول مرة عن الليبرالية وعن منهجها الذي يحترم أفكار الجميع ويدعو للنقاش وتبادل الآراء ويكره الانعزال والتقوقع داخل مبدأ معين يكسبك عداوة الآخرين..تعلمت من نور الانفتاح على العالم والتحرر من كل قيود المجتمع التعامل مع الحياة بالطريقة التي تعجبك أنت.

صدمتك نور عندما قالت لك أنها تؤمن بكل مبادئ الحرية بما في ذلك الحرية الجنسية..تعجبت من جرأتها..من قدرتها على الحديث في مثل هذه الأمور التي كنت تخجل أنت شخصيا من الحديث فيها.

كانت نور تعيش في منزل بمفردها..بالأساس هي من المنصورة والدها متوفى منذ أن كانت طفلة وأمها متزوجة من آخر ولها منه طفلان لم يتجاوز أكبرهما السادسة من عمره في حين أنها لم تنجب من زوجها الأول سوى نور فقط.

أتت نور الي القاهرة منذ ما يقرب من عشر سنوات عندما التحقت بكلية الآداب جامعة القاهرة..في البداية كانت تعيش في بيت طالبات لكن الأمر لم يعجبها فقررت الرحيل عن الدار هي وصديقتان لها إحداهما من المحلة الكبرى والأخرى من المنيا..استأجرن معا شقة بشارع العشرين بحي فيصل بالجيزة.. لم يكن إيجار الشقة كبيرا وكانت كل واحده منهن تدفع مبلغ أقل مما كانت تدفعه ببيت الطالبات.

المشكلة الرئيسية التي واجهتهن في البداية هي تأسيس الشقة وفرشها معا..بعد ذلك لم تكن هناك أية عقبات في طريقهن.

كانت هذه الخطوة هي الأولي في طريق الحرية للجميع فالثلاث فتيات كن ناقمات على المجتمع الذي يفرض عاداته المتخلفة على الشباب غير الراضين عما يحدث حولهم وعن الديمقراطية المزيفة التي يدعها ذلك المجتمع الفاشي.

لازلت نور حتى هذه اللحظة ترتبط بصداقة قوية مع شيري التي تعمل باحثة اجتماعية ومنار التي أصبحت الآن من أهم كاتبات الرواية الشباب.قالت لك نور يا خالد الكثير عن شيري ومنار..كشفت لك نور يا خالد المزيد من الأسرار عندما لاحظت نظرات الإعجاب في عينك تجاه منار تلك الفتاة التي تتمتع بجسد أنثوي من الطراز الأول وعينين عسليتين و شعر ناعم مائل إلى البني ينسدل على كتفها العاري دائما

بطريقة مثيرة جدا، وتزيد ملابسها القصيرة والعارية دائما من شدة هذه الإثارة.

قالت لك نور الكثير يا خالد..قالت لك أشياء أبعد من خيالك وقدراتك العقلية بكثير..قالت لك يا خالد ما لم يكن عليها أن تقوله وما لم يكن عليك أن تعرف، أصابك ما عرفت يا خالد بحالة من الذهول. فهل عقلك يا خالد قادر على تحمل كل هذا؟

٤

لم تكن نور متخوفة من تجربة العيش بمفردها مع فتاتين كل معرفتها بهما لا تتعدى الثلاثة أشهر، منذ اللحظة الأولى الـتي التقي فيها الثلاثة -نور وشيري ومنار- وهناك شيء ما يجمع بينهن..شيء لم تستطع أي منهن الوصول إليه.

كانت نور تلاحظ أن شيري ومنار يتعاملن مـع بعـضهن البعض كما لو كن يعرفن بعضا منذ عشرات السنين، فبالرغم من أن جميعهن بنات في بعض إلا أن نور كانت متحفظـة إلى حد كبير في تعاملها معهن.

بمعنى أنها لم تكن تغير ملابسها أمام أية واحدة منـهن..لم يصادف أن رأتها أية واحدة منهما بملابسها الداخلية في الفتـرة الأولي من معرفتها بهن إلا مرات معدودة وحتى عندما حـدث هذا كانت تسارع بالتقاط أي شيء لتغطي به نفسها.

لم تلاحظ نور أن هذا لا يحدث بين شيري ومنار..شـيري ومنار كانتا تنامان في حجرة مشتركة بينما حصلت نور علـى حجرة بمفردها و تحملت بهـذا النـصيب أكـبر في إيجـار الشقة..كان كل من الفتاتين يجلس أمام الأخـرى بملابـسها الداخلية وفي أحيان كثيرة تقتحم واحدة منهن الحمـام علـى الأخرى وهي تستحم بحجة رغبتها في دخول الحمام أو مـن باب الهذر والمزاح.

بالإضافة إلى استعانة كل واحدة منهن بالأخرى في بعـــض الأمور النسائية كضبط الحواجب ونزع بعض الشعيرات مـــن الأماكن التي يصعب الوصول إليها.

كل هذه الأشياء جعلت نور تخفف من حالة التحفظ الـــتي تتعامل بها معهن وتعاملهن بطريقة عادية جدا تناسب كونهن ـــ بنات في بعض ـــ.

استمر الوضع هكذا حتى عادت نور إلى المترل مرة فسمعت عند دخولها من الباب تأوهات منار بطريقة تدل علي أنها تقع تحت تأثير شهوتها في أحضان شخص ما..اقتربت نور بـــبطء شديد من الحجرة وحاولت مشاهدة ما يحدث بالداخل مـــن تلك المساحة الضيقة التي خلفها الباب شبه المغلق.

عندما اقتربت نور رأت منار تنام عارية تماما على سريرها و شيري تدفن رأسها بين فخذي منار..تابعت نور ما يحدث لمدة تزيد عن الربع ساعة ثم قررت أن تنصرف بهدوء.

بعد أن انصرفت نور جلست على مقهي عم سعيد لما يزيد عن خمس ساعات ثم عادت إلى مترلها مرة أخرى.

عندما عادت لم تتحدث معهن في أي شيء و لم تخـــبرهن بأنها رأت أي شيء..معاملة نور لم تتغير، ظلت تعاملهن بنفس الطريقة التي كانت تعاملهن بها..لم تكن نور تعـــرف لمـــاذا لم تتغير معاملتها لهن، ربما كان هذا بسبب اقتناعها التام بحريـــة الآخرين وضرورة احترام هذا.

قالت لك نور يا خالد كل هذا عنـــدما لاحظـــت أنـــك معجب بعمار..قالت لك هذا بالرغم من أنه ما كان يجب عليك معرفة هذا..عرفت كل هذا يا خالد والآن بعد أن عرفت ماذا ستفعل؟..ماذا ستفعل يا خالـــد بعـــد أن أصـــبحت واحـــدا منهن..بعد أن أصبحت ترى الدنيا وأنت جـــالس إلى جـــوار الآلهة؟

٥

منار حسين ..

روائية شابة، معظم أعمالها الأدبية حصلت على جوائز بسبب تطرقها للعديد من الأمور الشائكة في مجتمعنا و تحطيمها كل التابوهات..كل هذا أدى إلى ترجمة العديد من أعمالها إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية خاصة وأن الكثير من هذه الأعمال قد تجاوزت طبعته الثانية عشرة.

عندما كانت منار في الرابعة عشرة من عمرها، كانت تعيش مع أسرتها بالمحلة الكبرى، و كان لها جارة تسمي شروق في العشرين من عمرها..عاشت شروق معظم حياتها بالخليج بصحبة أسرتها المكونة من أبيها وأمها وأختها الكبرى التي تعيش في بيت زوجها الآن ولها من الأولاد ثلاثة.

ارتبطت منار بصداقة وثيقة مع شروق التي كانت تحبها جدا وتساعدها على المذاكرة وحل واجباتها المدرسية.. لم تشعر منار للحظة أنها فتاة صغيرة مقارنة بصديقتها شروق التي كانت تعاملها كما لو كانت أنثى مكتملة الأنوثة.

كثيرا ما كانت منار تبيت مع شروق في شقتها خاصة عندما كانت تسافر أم شروق لزيارة ابنتها الكبرى التي تعيش في الإمارات بصحبة زوجها.

لم تمانع عائلة منار يوما أن تقضي ابنتهم الليلـــة بـــصحبة شروق خاصة وأن "الباب قصاد الباب" وهم يعرفون شـــروق وأسرتها جيدا.

علاقة منار بشروق في بدايتها كانت لا تختلف كثيرا عـــن علاقة أية بنت ببنت أخرى..استمر هذا الوضع لما يقرب مـــن عام تقريبا إلى أن أتى ذلك اليوم الذي كانت تبيت فيه منار مع شروق، كان الجو شديد الحرارة لدرجة أن كليهما قد ارتدى أخف شيء لديه.

شعرت منار التي لم يمكنها الحر الشديد من النوم بأصـــابع شروق تتحرك على ظهرها الذي كانت قد أعطتها اياه..لم تعر الأمر اهتماما وتعاملت معه كأنه شيء طبيعـــي خاصـــة وان صديقتها كثيرا ما تفعل هذا معها على سبيل المزاح.

الحقيقة أن الأمر قد تعدى المزاح هذه المرة، أيقنت منار هذا عندما وصلت أصابع منار لأسفل ظهرها..تظـــاهرت منـــار بالنوم..شيء ما كان يدفعها لمعرفة ما تريده صديقتها التي بدت لماستها لها غريبة و مختلفة عن كل مرة.

استمرت منار في تظاهرها بـــالنوم حـــتى تتـــيح الفرصـــة لصديقتها في التحرك بحرية..كان بداخلـــها فـــضول فظيـــع لاكتشاف ما يدور بداخل صديقتها..عدلت منار من وضعها بحيث أصبح وجهها في مواجهة وجه شروق التي تظاهرت هي الأخرى بالنوم وكفت أصابعها عن العبث بجسدها.

بعد لحظات عادت أصابع شروق تتحسس جسدها..بـــدأ من رقبتها مرورا بصدرها وصولا الي مفرق فخذيها.

شعرت منار برغبة قوية في النهوض والابتعاد عنـــها لكـــن لمسات شروق لها كانت تغيبها عن الوعي.

استسلمت لها..واصلت شروق ما تفعله بجرأة أكثر بعد أن أزاحت الستار عن مكمن شهوتها وتركت العنان لاصـــابعها لتعبث بمنار غير عابئة بما تراه على وجه صـــديقتها المغمـــض العينين من ألم مصحوب بلذة واضحة.

عندما شعرت شروق باستسلام صديقتها لما تفعله، تخلت عن تمثيل دور النائمة واعتلت جسد منار وهي تمطرها بالقبلات وتهمس في أذنها بكلمة "بحبك".

لم تعرف منار ما الذي جعلها تستلم لشروق ومـــا الـــذي جعلها تتمادى معها في هذه العلاقة التي لم تكن تعرف اسمها في ذلك الوقت .. كل ما كانت تشعر به أنها في احتيـــاج تـــام لشروق، أن شروق صارت أهم شيء في حياتها.

عندما قالت لك نور هذا يا خالد لم تكن تصدقها كنـــت تشعر بأنها تحكي عن فتاتين أجنبيتين من نوعية الفتايات اللاتي تراهم على القنوات الجنسية بمترل أصدقائك.

لم تتخيل أن هذه هي الحقيقة إلى أن التقيت بمنار وعرفتـــها واكتسبت صداقتها بعد أن شعرت بأنك شخص "متفـــتح" لا

تتدخل في شئون الآخرين ولا تفرض أراءك — الرجعية — من وجهة نظرها عليهن.

اكتسبت صداقة منار يا خالد..كانت بداخلك رغبة ملحة في أن تفعل هذا دون أن تعرف سبب هذه الرغبة، والآن هل عرفت السبب؟. أعتقد أنك عرفته يا خالد.

٦

عندما كنت ترى عمر يا خالد كنت تشعر بـأن أمامـك الكثير لتحقق حلمك وتصبح صحفيا مشهورا..تصبح واحـدا من آلهة الصحافة.

كنت تنظر بعين الحقد لعمر الذي كنـت تتعجـب مـن شياكته الغريبة بالرغم من أنه يرتدي ملابس عادية..عادية جدا لا تعرف كيف تجعله يظهر بكل هذه الشياكة التي تثير حقدك عليه.

عندما كنت ترى عمر مع نور كنت تشعر بنوع من الغيرة لم تكن تعرف سببه في تلك الأوقات، لكنـك مـع الوقـت عرفته..عرفت أنك تشعر بنوع من الانجذاب إلى نور التي كنت ترى فيها بوابة عبورك إلى المستقبل..كنت تخاف من أن ترتبط نور بعمر و يصبحا "أصحاب" ، كنت تخاف من أن يبعـدها هذا الكائن عنك ويحطم كل ما فعلته بتلك المشاعر الغبية الـتي يطلقون عليها الحب أو بلغتهم "الصحوبية".

كنت تتخيل أن العلاقات في هذا الوسط ككل العلاقـات التي تراها بعالمك..عندما يرتبط الشاب بفتاة تتخلص الفتاة من طلقاء نفسها من كل أصدقائها الشباب وإن لم تفعـل هـذا يجبرها هو عليه.

عرفت فيما بعد يا خالد أن هذا العالم لا تحدث تلك الأشياء التي يسمونها "رجعية" وتسميها أنت "احترام لمشاعر الآخر".

لم يكن أمامك شيء لتفعله سوى المتابعة في صمت..اكتفيت بأن تتابع ما يحدث بين نور وعمر دون أن تتدخل أو تسألها عن طبيعة علاقتها به.

بعد أيام اكتشفت أن علاقة نور وعمر لا تتعدى الصداقة فكلاهما يعمل في نفس المهنة ومن الطبيعي جدا أن يكون بينهما الكثير من الموضوعات المهمة التي ترتبط بوسطهم..ذلك الوسط الذي كنت تنتظر بفارغ الصبر الفرصة المناسبة لتقتحمه بأفكارك التي كنت تراها أهم بكثير مما يكتبه هؤلاء.

كنت تشعر بأنك تكره عمر دون أن تجد سببا لهذا، ربما كان يبادلك نفس الشعور ولكن ليس بنفس الدرجة..كنت ترى دائما في عينه نظرة احتقار وتقليل من شأنك، كثيرا ما تهكم على كلامك وقال لك بسخرية "خليك إنت في الشيشة وسيبك من الكلام ده"..كلما سمعت منه هذا كنت تتمنى أن تبتلعك الأرض وتتخلص من حياتك التي تتعمد أن تهين آدميتك يوما بعد يوم.

ولكن سرعان ما يتبدل هذا الشعور عندما تتدخل نور لإنصافك مصدقة على كلامك..مستشهدة بأدلة تؤكد صحة ما تقول.

حاولت كثيرا أن تجد مبررا لكره عمر لك.. لم تجد تفسير سوى أنه يغار منك، عندما تصل لهذه النتجية كنت تقول لنفسك "هيغير مني على إيه؟". كنت تحاول أن تطرد الفكرة من عقلك لكنها كانت تسيطر عليك دائما.

كنت تكره عمر يا خالد ولازلت تكره حتى بعد أن أثبت للجميع أنه شيء تافه وأنه لا يرتقي لمصاف الآلهة، هو فقط يدعي هذا حاول أن يكون منهم يتصرف ويتحدث مثلهم..يجلس معهم، لكن في النهاية ليس كل من يجلس مع الآلهة يصبح منهم..فهمت يا خالد ليس كل من يجلس مع الآلهة يصبح منهم.

كثيرا ما تمنيت أن تتخلص من ذلك "البرص" الذي يدعي عمر..والآن يا خالد بعد أن تخلصت منه للأبد هل لازلت تكرهه؟ ، هل استفدت من هذا؟..يجب يا خالد أن تعترف بالحقيقة لأن الوقت يمر و لم تبق سوى بضع لحظات أو أقل..لا تجعل الفرصة تفوتك هذه المرة أيضا.

٧

عمر محمود..

صحفي بجريدة قومية يومية ضعيفة التوزيع..يدعي دائما أنه معارض وأنه غير راض عن الأوضاع التي يعيش فيها الشعب المصري، الحقيقة أنه واحد من كلاب النظام يعمل لمصلحته ولكن في الخفاء.

جرى اتفاق بينه وبين رئيس تحرير جريدته وهما جالسان على أحد المقاهي بشارع القصر العيني بأن يظهر عمر دائما على أنه معارض وأن ينضم إلى العديد من حركات المعارضة في مصر وأن يظهر ولاءً تاما لهم حتى يستطيع التعرف بالمزيد من خباياهم..كذلك سمح له رئيس تحريره بأن يعمل باسم مستعار بإحدى الصحف المعارضة ليؤكد لفئة المعارضة أنه واحد منهم.

كان عمر يتقاضى أجرا مضاعفا من الجريدة التي كانت في يوم رمزا من رموز الصحافة في مصر..عمر يتقاضى هذا الأجر لأنه واحد من فصيلة "ماسحي الجزم" أو بمعنى أوضح عمر أستاذ في النفاق وليس لديه أي مانع من تقديم أي تنازل في سبيل المال و الشهرة.

بالرغم من أن عمر لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره إلا أنه معيّن بجريدة وهو عرفيا رئيسا لقسم جديد ابتدعه رئيس التحرير الذي لا يحرمه من أي شيء..وظفه بالجريدة بمرتب

ممتاز وساعده كي يعد برنامجا بإحدى القنوات الفضائية..كذلك توسط له ليعمل بمكتب الجريدة الخليجية التي يتولى صديق له الإشراف على مكتبها بمصر.

كان عمر يظهر دائما بصورة العميل المزدوج يعطي معلومات لرئيس تحريره ويفعل نفس الشيء مع المعارضة ويقبض من الجهتين و يستفيد أيضا من الجهتين..الذين يعرفون عمر على حقيقته وهم قلة يمكن أن تعدهم على أصابع اليد الواحدة يقولون إنه "كلب فلوس".

من أهم الأشياء التي تميز عمر أنه زير نساء بمعنى الكلمة..علاقاته متعددة ومتشعبة، يحب النساء بكل أشكالهن وأنواعهن.

كل من يرتبط بهن عمر يعتقدن أنه يحبهن..بالإضافة إلى قلة تمنحه أجسادها مقابل بعض المصالح المتبادلة.

عمر يعيش مع أسرته في مدينة نصر ولكنه بعد أن ضحكت له الحياة و الحكاية بقت مزهزة معاه قرر أن يؤجر شقة في وسط البلد..بالطبع لم يكن يدفع مليما واحدا في إيجارها، كانت هذه الشقة بمثابة الوكر الذي يقضي فيه عمر على كل شهواته سواء كانت متعلقة بالنساء أو بالمزاج أو بشهوته الكبرى الفلوس.

عندما قررت يا خالد التخلص من عمر لم يكن أمامك سوى اتباع طريقة أنور وجدي في فيلم حسن الهلالي..كل ما

فعلت هو النبش في ماضي عمر حتى وصلت إلى كـــل هـــذه الأشياء التي جعلت عمر بين فكيك.

هل استرحت الآن يا خالد؟..هل ستتعامل مع عمر بـــنفس طريقة حسن الهلالي ويكون عمر هو الأول؟.

لا تجب الآن يا خالد فمازال أمامك بضع ثوان لتفكر فيها.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تجلس فيها بمفردك مع فتاة بشقة..كنت مترددا كثيرا في قبول دعوة نور لك للعشاء عندها، لكن بعد إلحاح منها وشعورك بأن هناك شيئا ما بداخلها تود الإفصاح به لك بعيدا عن جو القهوة وافقت.

انتظرتك نور حتى انتهت ورديتك..كانت الساعة قد اقتربت من الثانية صباحا..اضطررت إلى أن تتصل بأهلك لتخبرهم أنك ستبيت بالخارج ثم ذهبت معها.

كانت نور تعيش بمفردها في شقة استأجرتها بمدينة السادس من أكتوبر بعد أن قررت الانفصال عن صديقتيها منار وشيري بعد ما يقرب من ست سنوات.

قررت نور هذا حتى "تصبح على راحتها" ويصبحا هما أيضا "على راحتهما"..كذلك لم تكلفها شقة ٦ أكتوبر الكثير فقيمة أقساطها لا تتجاوز المائة والخمسين جنيها في الشهر بالإضافة إلى أنها في النهاية شقتها.

اصطحبتك نور بسيارتها الـ١٢٧..توقفت في الطريق لشراء بعض مستلزمات العشاء من " مترو ". طلبت منها أن تدفع جزءا من الحساب لكنها رفضت بحجة أنها "هي اللي عزماك".

كانت شقتها بسيطة لكنها جميلة يغلب عليها الذوق الأوروبي في كل شيء الأثاث والديكور والإضاءة.

عندما دخلتم طلبت منك الجلوس في الصالون حتى تستحم وتغير ملابسها..بعد ما يقرب من ربع ساعة خرجت نور وهي ترتدي تي شيرت حمالات وهوت شورت..تعجبت من جرأتها..لاحظت هي هذا وبادرتك بالإجابة على الأسئلة التي تدور في ذهنك.

أول شيء قالته لك "اللبس ده عادي بقعد بيه على البلاج وكل الناس بتشوفني يبقى مش هقعد بيه في البيت وأنا مع أعز أصحابي".

قبل أن تتحدث قالت لك أيضا "عارفة إنك مسألتش بس هتموت وتسأل"..كانت نور تحاول أن تحطم كل الحواجز التي بينكما حتى تستطيع التحدث بسهولة معك ودون أي خجل.

أعدت الطعام ووضعته على السفرة و إلى جواره زجاجتين بيرة..كنت قد طلبت منها أن تستحم أنت الآخر خاصة وأنك كنت تشعر بحاجة إلى هذا بعد المجهود الطويل..قبل انتهائك من الحمام اكتشفت أنها تطرق الباب عليك وتناولك بعض الملابس وهي تقول لك "مش معقول هتفضل قاعد بهدومك طول الليل".

ارتديت الملابس التي لم تستطع التعرف إذا كانت نسائية أو رجالية فهي عبارة عن بنطلون ترينج وتيشرت من تلك النوعية التي تصلح للجنسين.

أثناء تناولكما الطعام بدأت نور تحـدثك عـن وضـعك وتفكيرك وعن رغبتها في انتشالك من هـذه المهنـة الـتي لا تتناسب وإمكاناتك العقلية.

لم تكن تفهم ما تريده بوضوح ولكن بعد العشاء قالت لك إن هناك صديقا لها تولى منصب رئيس تحرير جريدة أسـبوعية ستصدر خلال شهور وإنها رشحتك للعمل معه بعد أن طلب منها مساعدته في الجريدة.

بالرغم من أن تأثير البيرة بدأ يظهر عليك وأصبحت تـشعر بأن رأسك تتثاقـل إلا أن فرحتـك كانـت عارمـة بهـذا الخبر..كانت هذه هي الخطوة الأولى في سـبيل الوصـول إلى حلمك.

فرحتك بما قالته نور لك لم يجعلك تفكر في السبب الـذي دفعها لهذا.. لم تفكر يا خالد..ولم تمنحك هي فرصة للـتفكير لأنها أجابت على كل شيء بطريقتها الخاصة.

أعطتك نور الكثير..وفعلت من أجلك الكثير..ولكن هـل تستطيع يا خالد رد الجميل لها؟..أتمنى أن لا ترده بطريقتـك الخاصة، لأنها لا تستحق منك هذا.

٩

طارق إسماعيل..

صحفي ونائب رئيس تحرير جريدة يومية مستقلة..روائي له العديد من الروايات والكتب التي كانت مسارا للجدل لفترات كثيرة بسبب جرأتها وتطرقها للعديد من الأمور الشائكة.

أتم طارق عامه الخامس والأربعين منذ شهور ستة مضت..تزوج مرة واحدة ولكنه انفصل عن زوجته بسبب علاقاته النسائية المتعددة وإصراره على العودة إلى المنزل كل يوم مخمورا.

زوجته أو بمعنى أدق طليقته صحفية معروفة ومعروف عنها التدين والالتزام..تعرف بها طارق أثناء الجامعة وهي التي ساعدته على العمل في جريدة الأخبار عن طريق عمها الذي كان له اسمه ومركزه بالجريدة..تزوجها طارق بعد أن حصل على وظيفته بعام واحد وبالرغم من أن ظروفه المالية كانت سيئة جدا إلا أن عمها استطاع أن يقنع والدها بطارق الذي كان يتوقع له مستقبلا باهرا واسما رنانا في الوسط.

بعد ما يقرب من عشر سنوات انفصل طارق عن زوجته التي لم ينجب منها سوى بنت كانت وقتها في السابعة من عمرها.

لم يتزوج طارق بعدها واكتفى بعلاقاته المتعددة مع الفتيات اللاتي يصغرنه في السن ولديهن رغبة قوية في الوصول إلى نفس مكانته الأدبية.

تعرفت بطارق بعد ما يقرب من شـــهرين مـــن عملـــك بالمقهى..كان لطيفا معك لدرجة كبيرة وكان يظهـــر علـــى وجهه علامات البهجة عندما كنت تناقشه بمقالاته ورواياته.

قال لك طارق ذلت مـــرة "إنـــت بتفكـــرني بنفـــسي في شبابي..كنت زيك كده بالضبط"..فرحت جدا يومها خاصـــة وأنه قال لك هذا أمام عمر، ثم أضاف قائلا "ياريتكم تتعلمـــوا منه".

كان هذا هو أول قلم توجهه لعمر..كنت تشعر بالانتصار بعد أن رأيت عمر يغادر المقهـــى وعلـــى وجهـــه علامـــات الانكسار والحزن.

حاولت أن تقترب أكثر من طارق لكنه كان يضع حدودا للجميع..حدود تحرق كل من يحاول اقتحامها..كـــان هنـــاك شيء غامض في حياة هذا الرجل شيء تتمنى أن تعرفه لكنك لم تعرفه يا خالد إلا في الوقت الضائع.

عندما قرأ طارق أول تحقيق صحفي نشر لك طلب منك أن تترك عملك بالقهوة وقال لك "إنت شاب موهوب والـــدنيا مظاهر اوعى تخلي حد يمسك عليك حاجة".

علمك طارق الكثير من أصول اللعبة وأعطاك الكثير من مفاتيح ملكوته جعلك تقترب من دخول جنته.. بينما انتظرت أنت لحظة إعلانك واحدا من الآلهة بمباركة زيوس العظيم.

حصلت يا خالد على مفاتيح ملكوته ولكن ماذا فعلت بها؟، هل كنت تنوي دخول جنته فقط أو الاستيلاء على ملكوته..لا أعتقد أنك كنت تعرف وقتها يا خالد؟..لهذا لن أطلب منك الإجابة الآن.

١٠

اقترب عامك الأول يا خالد من النهاية..تعرفت خلال هذا العام على الكثير نور التي أحبتك بإخلاص وأحبت طموحك بعنف..نور التي منحتك الكثير، كذلك تعرفت بعمر الذي كرهته كما لو كان زوج أمك الذي يعذبك كل يوم، واقتربت أكثر من زيوس العظيم "طارق إسماعيل" إلهك المقدس الذي منحك العصا السحرية التي جعلتك قريبا من ملكوته وأخيرا تعرفت بمنار وشيري اللتان لم تخجلا من مصارحتك بطبيعة علاقتهما معا. قالت لك شيري مرة إنها تحب منار.. تحبها بعنف..سألتها عما إذا كانت تعرف أن هذا يعد مخالفا لطبيعة البشر ولكل شرائع الأديان السماوية..نظرت لك وقتها بسخرية ولسان حالها يقول لك "والزنا والخمرة مش بيخالفوا الشرائع السماوية" وقالت لك "ربنا خلقني كده..مش أنا اللي خليت نفسي كده..أكيد ربنا ليه حكمه في إنه يجعلني كده وأنا متأكدة إنه مش هيحاسبني على شيء مش بإيدي..على شيء هو اللي خلقني عليه".

حدثتك شيري كثيرا عما يحدث بينها وبين منار ، قالت لك ان علاقتها بمنار ليست علاقة جنسيه كما تتخيل و ليست

الشهوة الجسدية هي التي تربطهما ببعض .. اخبرتك بالها تحب منار مثلما تحب انت نور .

صدمتك كلماقا..لم تكن يا خالد تعرف بعد ما هو سر ارتباطك بنور..هل هو الحب أم المصلحة أم أشياء أخرى لم تعرفها بعد، لم تكن تعرف السر يا خالد لكنك كنت مستبعد الحب تماما من حساباتك.

كلمات شيري لك جعلت شبح ريهام يعود من جديد ليخيم على ذاكرتك.

هل لازلت تتذكر ريهام يا خالد؟..ريهام بنت الأكابر كما كنت تطلق عليها، ريهام التي أحببتها بقوة لكنها كانت بعيدة كل البعد عنك.

حاولت كثيرا أن تقترب منها ولكنك كنت تفشل في كل مرة، إلى أن أتت لك على طبق من فضة.

كنت تجلس بمفردك يا خالد على سلالم الكلية تقرأ في بعض الملخصات التي أعددها بنفسك فوجدها تقف أمامك وتطلب منك بعض الملخصات التي حصل عليها أصدقاؤك منك..أعطيتها كل ما تريد وأكثر، لم تدع الفرصة تفوتك واقتربت منها أكثر وأكثر.

إلى أن قررت يوما أن تخبرها بما في قلبك..انتهزت فرصة وجودكما معا في كافتريا الجامعة وبعد أن شرحت لها مادة

الأدب الجاهلي التي كانت تكرهها جدا لصعوبتها ؛ قررت أن تحدثها ؛ لم تنطق بحرف إلا عندما رأيت على وجهها السعادة.

ولكن قبل أن تنطق بأي شيء قالت لك "متقلش أي حاجة لأني فاهمة كل شيء..أرجوك بلاش تتكلم علشان فيه ظروف أقوى مني ومنك، بس اللي عيزاك تعرفه إني أنا كمان بحبك".

مع الوقت نسيت أنت وهي كل تلك العقبات واقتربتما أكثر إلى أن قررت يوما أن ترتدي عباءة عبد الحليم حافظ وتذهب إلى والدها رجل الأعمال لتخبره بأنك تحب ابنته..كنت تتوهم أنه سيضعف وسيوافق خاصة وأنه رجل بدأ من تحت الصفر وليس غنيا بالفطرة.

حاولت ريهام أن تمنعك كثيرا لكنك كنت مصر على رأيك..إصرارك يا خالد هو وحده ما كتب النهاية.

عندما تأكدت ريهام من أنك لن تتراجع عما في رأسك قالت لك بصراحة تامة "لو اتقدمت أنا اللي هرفضك..إنت يا خالد شخص جميل ممكن أحبه أو أرتبط بيه لكن أتجوزه لا..لازم يا خالد تعرف إني إنسانة واقعية ومش ممكن أقولك كلام الأفلام الهبلة اللي بنشوفها سوا وإني هضحي علشانك وممكن أعيش في عشة معاك والكلام التافه ده..خلينا كده يا خالد أحسن و محدش عارف اللي جاي فيه إيه".

تذكرت ريهام يا خالد؟..أم مازالت ذاكرتك تحاول أن تطردها منها..يبدو يا خالد أنك لم تنسها قط بدليل أنك

أهديت لها أول عمل أدبي لك..قد تكون تركت مساحة الاسم خالية و اكتفيت بكتابة "إلى (   ) التي جعلتني أكـــره الحيـــاة والحب" لكنك أهديتها هذا العمل وأرسلته لها على فيلا والدها بالزمالك بعد أن تأكدت من أنها لم تتزوج بعد.

والآن يا خالد هل لازلت مصرا على التعامل معها بـــنفس طريقة حسن الهلالي أم ستتركها لحال سبيلها؟

لابد أن تجيب يا خالد لأن "وقتك قد أوشك على النفاد".

١١

شيري عادل..

باحثة اجتماعية..تعمل لدى العديد من منظمات حقوق الإنسان، جسدها الضئيل وملامحها الطفولية لا توحي لأحد بأنها فتاة في التاسعة والعشرين من عمرها.

شيري ولدت وتربت في المنيا و لم ترحل عنها إلا عندما التحقت بجامعة القاهرة..منذ طفولتها وأمها تبث فيها ضرورة الابتعاد عن الرجال وعدم الاختلاط بهم لأن هذا ليس من سمات "البنت المؤدبة". أهم شيء علمته أمها لها هو ضرورة الحفاظ على نفسها من جنس الرجال، فالرجل كما وصفته أمها لها في طفولتها هو حيوان لا يبحث إلا عن جسد المرأة ليغتصبه دون رحمة.

كانت أمها تقول هذا لها دائما حتى تحافظ البنت على نفسها وشرفها..كانت الأم تقول هذا كعادة أو موروث ورثته عن أجدادها..هذه الكلمات لم تكن سوى شيء اعتادت كل أم أن تقوله لابنتها وهو على سبيل العادة أكثر منه نصحية.

عندما كبرت شيري ووصلت إلى سن البلوغ ومع أول قطرات دم بدأت تتساقط منها معلنة رحيل البنت الصغيرة وميلاد الأنثي، بدأت أمها في التشديد عليها أكثر وأكثر كانت

ترهبها كل يوم من الرجل ذلك الكائن البغيض الذي يتمتع بألم المرأة و تعذيبها.

كل هذا الكلام تبلور في عقل شيري واختلط بصورة لازالت عالقة بعقلها..صورة لأمها وهي تتألم أثناء ممارستها الجنس مع ابيها.

استيقظت شيري في ذلك اليوم لتذاكر بعض دروسها، فلم تكن تفصلها عن امتحانات آخر العام سوى أسابيع قليلة. أثناء ذهابها للحمام سمعت صوت أمها يتألم اقتربت من الحجرة بهدوء حتى تمكنت من رؤية ما يحدث..كان أبوها يعتلي أمها التي كانت تصرخ فيه بصوت مبحوح و تطلب منه أن يتوقف.

ظل هذا المشهد عالقا في ذاكرتها واختلط مع كلام أمها حول الرجل ووحشيته ليكون خليطا من كره الرجال و الرغبة في الابتعاد عنهم.

معلومات شيري عن الجنس ظلت محدودة إلى أن أتت إلى القاهرة وتعرفت بمنار..كانت منار تعاملها برقة بالغة وبعطف وحب لم تعتده من قبل. حدثتها منار أيضا عن الرجل ذلك الكائن الذي يرتبط بالمرأة فقط لإشباع رغباته دون الاهتمام بها أو برغباتها وعن طبيعة الأنثي التي تحتاج إلى رقة بعكس ما يعامل الرجال النساء.

أول مشهد جنسي رأته شيري في حياتها كان على شريط فيديو في مترل مجموعة من أصدقاء منار وكان لفتيات يمارسن الجنس مع بعضهن البعض.

كانت شيري تتمنى أن تحب وأن تعيش حالة الحب، ولكن مع من؟، فهي تكره الرجال..ظلت شيري تبحث عن الحب إلى أن وجدته مع منار.

لم تصدق شيري نفسها عندما سمعت منار تقول لها يوما "أنا بحبك".

كانت تشعر بأن هناك شيئا ما خطأ لكن رغبتها في اقتحام عالم الحب جعلها تسلم عقلها و نفسها لمنار.

كنت يا خالد تستمع لشيري بإنصات بالغ..تعاطفك معها جعلك تكسب صداقتها وجعلها تبوح لك بالكثير من الأسرار بعد أن جعلتك تقسم بكل الأقسام التي تعرفها والتي لم تعرفها بأنك لن تبوح بهذا الكلام لأحد..فشيري كانت مختلفة عن منار، لم تكن تستطيع مصارحة الناس بهذا.

ربما بسبب نشأتها الريفيفة التي تعد الكلام في الجنس بشكل عام تابوها يصعب الاقتراب منه.

أقسمت يا خالد لشيري بأنك ستحفظ سرها، وأنك لن تبوح به لأي شخص..ولكن هل تعتقد أنك وفيت بالوعد وحفظت السر الذي قالته لك؟

١٢

أيام قليلة تفصلك عن رأس السنة الجديدة..كنت تنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر، فزيوس العظيم وعدك بحضور حفل كبير للآلهة العظام..وعدك بأن يعرفك بهم واحدا واحدا على أنك تلميذه النجيب.

كنت تشعر يا خالد أنك تحلم. فمنذ أيام قليلة كنت مجرد صبي في قهوة وكانت الدنيا تغلق كل أبوابها في وجهك..بين يوم وليلة أصبحت على مشارف دخول مدينة الآلهة.

كنت تعد الأيام..تنزع ورقة النتيجة بفرح صباح كل يوم احتفالا باليوم الجديد.

قبل ليلة رأس السنة بيوم واحد ذهبت إلى المطار لاستقبال نور التي كانت في إنجلترا لحضور مؤتمر مهم..فرحت جدا برؤيتها. عرفت حين رأيتها أنك افتقدتها كثيرا.

قبل ذهابك إلى المطار كنت قد ذهبت إلى منزل نور وأعددت الطعام بنفسك.،وضعته على السفرة ورتبت كل شيء بشياكة بالغة.

عندما دخلت نور إلى شقتها طارت من الفرحة واحتضنتك وظلت تقبل وجنتيك بقوة..كانت هذه هي المرة الأولي التي تشعر فيها برغبة حقيقية في ضم نور إلى صدرك.

لم يصارح أي منكما الآخر بحبه..لكن الأمور بينكما كانت تسير وفقا لهذا الأساس، الكل يعرف أنك ونور "متـــصاحبين" وأن الذي بينكما أقوى بكثير من أي شيء.

ازدادت فرحة نور عندما اكتشفت أنك نشرت أكثر مـــن خمسة تحقيقات في الأسبوعين التي غابت فيهما عن البلاد..و لم تكن تصدق عقلها عندما عرفت أن طارق إسماعيل قد ضمك إلى فريق عمل الجريدة اليومية التي يشغل منصب نائب رئـــيس تحريرها.قالت لك نور يومها إنها فخورة بك وإنها متأكدة تماما من أنك ستصبح عظيما، عظيما جدا.

طلبت منك نور أن تقضي معها ليلة رأس الـــسنة..لكنـــها تراجعت عن طلبها بقوة عندما علمت بالحفل الـــذي دعـــاك طارق له.

سألتك نور عن الملابس التي تنوي الذهاب بها فأخبرتها أنك لم تهتم بهذا الأمر..نظرت لك وهي تطوق عنقـــك بـــذراعيها وقالت "مينفعش لازم تشتري بدلة..وبدلة شيك كمان".

لم يكن معك ثمن البدلة يومها وكان من الصعوبة أن تـــدبر ثمنها في أقل من ٢٤ ساعة، قلت لها هذا وأنـــت تحـــاول أن تداري خجلك.

فاجأتك نور كعادتها عندما أخرجت من حقيبتها بدلة أنيقة جدا وأعطتها لك وهي تقول "زي ما يكون قلبي كان حاسس إنك هتحتاج لها".

طلبت منك نور أن ترتدي البدلة لتراها عليك..كانت على مقاسك تماما، قبل أن تسألها عن أي شيء قالت لـــك "أنـــا حفظاك كويس قوي علشان كده قـــدرت أحـــدد مقاســـك بالضبط".

ذهبت يا خالد إلى الحفل وأنت ترتدي البدلة التي أهـــدتها نور لك..كنت معجب بنفسك جدا..كانت هذه هي المـــرة الأولى التي تشعر فيها بأنك تستطيع أن تصبح واحدا من الآلهة العظام.

كنت تجلس وسطهم يا خالد وكلـــك شـــعور بـــالزهو والفخر..خاصة كلما التقطـــت لـــك عدســـات المـــصورين الصحفيين صورا لك وأنت تجلس إلى جانب آلهتك العظام .

تعرفت بالكثير منهم..أعجبهم تفكيرك وطموحك وحماسك ورغبتك في أن تصبح واحدا منهم.

بعد أن انتهى الحفل خرجت مع ملهمك وإلهـــك العظـــيم طارق إسماعيل.. لم تكن تصدق نفسك حينما علمت أن الرجل سيوصلك بنفسه إلى البيت.

تستطيع أن تقول يا خالد أن هذا اليوم كـــان فاصـــلا في حياتك كلها..ولكن يا خالد هل استطعت أن تعمل بما قـــالوه لك من نصائح؟..هل احترمت ميثاق الشرف الذي سمعت بـــه لأول مرة منهم؟

الآن يا خالد بعد أن دخلت جنتهم وأصبحت واحدا منهم، هل تعتقد أنك تستحق هذا؟

فكر يا خالد فعامك الأول قد انتهى والأيام تمر بسرعة و لم يعد يتبقى لك سوى القليل لتدرك الحقيقة.



العام الثاني

تقول الأسطورة إن زيوس العظيم كبير الآلهة لم يصل إلى عرشه ويتربع عليه منفردا إلا بعد أن تمكن من قطع العضو الذكري لأبيه وبهذا جعله غير قادر علي الإخصاب والاستمرار في ملكوته.

١

كنت تسابق الأيام يا خالد لتثبت للجميع أن مكانك الطبيعي هو في الجريدة وليس بالقهوة..حاولت كثيرا أن تتخلص من إحساسك بالدونية ومن شعورك بأنك أقل منهم لكنك لم تستطع فعل هذا بسهولة.

في بداية عملك كنت تهتم بعمل تحقيقات عن الوساطة والمحسوبية و بالرغم من أن هذه الأفكار تكاد تكون مستهلكة وكتب عنها الكثير إلا أنك كنت بارعا في انتقاء زوايا جديدة لها تجبر رؤساءك على نشرها.

كل يوم مر عليك يا خالد كنت تثبت فيه لنفسك قبل أي شخص أنك ستصبح واحدا من الآلهة ودخولك جنتهم أصبح شيئا في حكم المؤكد.

أهم وأفضل قرار اتخذته في حياتك هو أن لا تهتم بالأحاديث الجانبية التي تدور عن ماضيك وعن عملك في القهاوي قبل الصحافة..قررت يا خالد أن تركز كل تفكيرك في عمل تحقيقات تصنع ضجة إعلامية وتكون واسعة الانتشار.

تعلمت يا خالد كيف تحاكي الكبار والعظام في طريقة كلامهم وجلستهم وغيرها من الأشياء التي تدل على العظمة والثقة بالنفس.

علمتك نور كل هذا، ومنحتك الكثير..أصبحت نور بمثابة زوجتك دون أن تتزوجها، صـــار لـــك ملابـــس في دولاب ملابسها وصارت لك أشياء بشقتها.

لم تعد بحاجة لأن تستأذنها قبل القدوم إليها، فالبيت أصبح بيتك ونور أصبحت لك.

كثيرا ما حاولت الوصول إلى تفسير لشخـــصيتها لكنـــك فشلت.

يبدو أن نور يا خالد كانت أطهر منك بكثير، لهذا كان من الصعب عليك أن تفهمها أو تفسر كرمها المبالغ معك.

كنت تتصور أن نور تمنح جسدها للكثير غـــيرك، لا بـــل كنت متأكدا من هذا..الحقيقة التي اكتشفتها الآن يـــا خالـــد أثبتت لك أنك بالرغم من ادعائك للحرية لازلت رجعيا تفكر بطريقة بدائية.

نور يا خالد هي التي صنعتك..هي التي جعلتـــك تـــدخل ملكوت الآلهة وتصير واحدًا منهم.

كنت لها كل شيء حبيبا وأبا وأخا وعشيقا ولكنها لم تكن لك سوى فرج تقضي فيه شهوتك..لم تكن تمثل لك أكثر من جسد يشعل رغباتك و يخدمها، لم تكن لك سوى "واحـــدة هبلة" أعطت كل شيء لرجل دون ان يقول لها حـــتى كلمـــة "بحبك"، وبالرغم من كل هذا لم تفكر يوما يا خالد في مصير

علاقتك بها. لم تسأل نفسك يوما هل ستستمر أم ستكتفي يوما وتبحث عن غيرها لتكمل المشوار معك؟.

الأيام يا خالد جعلتك تتأكد من حب نور لك ، ربما هذا ما جعلك تقرر أن تترك للأيام مسؤلية تحديد مصيركما.

لم تكن تحب نور يا خالد لكنك تعودت على وجودها إلى جوارك تعودت أن تحصل على رأيها في كل شيء يخص عملك..كنت تحترم رأيها جدا وغالبا ما كنت تنفذ وجهة نظرها دون أن تفكر في كلامها ولو للحظة.

كانت لديك ثقة بالغة فيها وفي كونها تهتم بمصلحتك أكثر من مصلحتها الشخصية..كنت لها بمثابة الإله يا خالد.

عندما تعرفت على نور لم تكن عذراء..صدمك هذا الكثيرا حاولت أن تعرف منها كيف حدث هذا لكنها كانت ترفض دائما الكلام فيما حدث بالماضي.

في يوم أكثرت فيه نور من الشرب وهي بين أحضانك قالت لك كل شيء..كانت تحكي لك وهي تبكي.

عرفت منها يا خالد أن عمها هو من اغتصب عذريتها..كانت نور وقتها في الخامسة عشرة من عمرها بينما كان عمها في الثالثة والعشرين.

والد نور توفي قبل أن تبلغ نور العاشرة من عمرها وبعد وفاته بأعوام قليلة تزوجت أمها من آخر وانتقلت للعيش

معه..بينما تركت نور لتعيش مع جدتها لأبيها وعمها في بيت العائلة.

عندما بدأت معالم الأنوثة تظهر على نور أخذت معاملة عمها تتغير معها..ربما تغيرت هذه المعاملة للأفضل فكثيرا ما كان يمتدح جمالها وأنوثتها.

عندما بلغت نور الرابعة عشرة من عمرها تدهورت حالة جدتها الصحية لدرجة أنها لم تعد تغادر الفراش وغالبا كان النوم يغلبها معظم ساعات اليوم.

كانت نور كغيرها من الفتيات لا تعرف الكثير عن الجنس وتلك الأمور التي قيل لها إنها من المحرمات، بينما كان عمها شاب تتملك منه رغباته خاصة وأنه كان يذهب كل يوم إلى شلة الأنس بعد انتهائه من عمله ليشربوا معا الحشيش وهم يستمتعون بمشاهدة العديد من الأفلام الجنسية بكل أشكالها.

استمر عمها يداعب أنوثتها على سبيل المرح والمزاح كثيرا، فغالبا ما كان يجري وراءها..يضربها تضربه..يمسكها بقوة ويحملها ليضعها على السرير ثم يقوم بضربها أو "زغزغتها" ويستمر في هذا حتى تشعر نور بأنها اقتربت من فقدان وعيها من كثرة الضحك.

غالبا ما كانت نور هي التي تبدأ بالهزار مع عمها فلقد كانت تحبه جدا و تعده بمثابة أخيها الكبير لا عمها..كانت تتعمد أن تتبع أسلوب الرخامة معه خاصة عندما ترى على

وجهه علامات الضيق حتى تخرجه من تلك الحالة وتعيد إليه ابتسامته.

و في يوم أتى فيه عمها على وجهه غضب ربنا..اقتربت نور منه وأخذت في مداعبته متبعة نفس أسلوب الرخامة المعهود..حاول عمها أن يجعلها تبتعد عنه لكنها كانت تزيد من رخماته عليه..استمرت في ضربه وشده من شعره وسحب الأشياء من يده إلى أن استفزته فقام وهو يقول لها "واضح إنك عايزه تنضربي زي كل يوم".

قام عمها وقيدها بذراعيه ووضعها على السرير وهو يعتلي جسدها..في تلك اللحظات انكشف صدرها الذي بدا عاريا أمامه تماما..خيم الصمت للحظات وعين عمها لا تفارق ثدييها، حاولت نور التي بدأت تشعر بالحرج من نظراته له أن تنهض لتعدل ملابسها، لكنه قيدها أكثر، ثم أخذ في تقبيلها بقوة في وجهها وثدييها.

حاولت نور كثيرا أن تهرب منه لكنها لم تستطع أن تفعل هذا إلا بعد أن أخمد فيها شهوته وقضى على عذريتها.

مرت أيام ونور تعيش في حالة اكتئاب شديد، لم تكن تدري ماذا ستفعل وكيف ستواجه الناس بما حدث.

قررت نور أن تنسي الأمر برمته خاصة وأنها كانت على يقين تام بأن أحدا لن يصدقها مهما قالت لهم.

كانت نور تتجنب عمها لكنه كان يحاول الاقتراب منـــها والتحرش بها..استمر في مضاجعتها وهـــو تحـــت تأثيردمـــاغ الحشيش وهي تحت تهديد عمها لها بأنها لو لم تفعل هذا معــه سيخبر الجميع بأنه رآها في أحضان شاب بالمترل عندما عــاد مبكرا.

لم تستطع نور التخلص من عمها الا عندما انتقلت للعـــيش بالقاهرة.

كانت نور تحكي لك يا خالد وهي ترتعش بين أحـــضانك وهي تتوسل إليك بأن لا تتركها فالحنان الـــذي وجدتـــه في أحضانك لم تعرفه من قبل.

أخبرتك نور بأنها قررت أن تكون واقعية وأن لا تبكي على اللبن المسكوب..لأن البكاء لن يعيد لها عذريتها مرة أخرى.

توسلت لك نور يا خالـــد أن لا تحرمهـــا مـــن حنانـــك والإحساس بالأمان الذي تعيشه معك..عاهدتها يا خالد أن لا تبتعد عنها لكن عهدك لها كان لمصلحتك الشخصية فقـــط لا غير. أهذه الحقيقة يا خالد أم أنا أكذب؟

٢

مريم أحمد..

فنانة تشكيلية، لها لوحات عدها كثير من النقـــاد أعمـــالا مهمة في مجال الفن التشكيلي..مريم فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها تعيش بمفردها بعد وفاة أمها ومن بعدها أبيها.

لا تعترف مريم بالأديان السماوية وتعد الحديث عن الثواب والعقاب والجنة والنار مجرد أوهام ليس لها أساس من الصحة.

ساعد مريم على الاستمرار في طريقها هذا شلتها المقربة من الرسامين و الفنانين والمثقفين ممن يعتنقون نفس فكرهـــا بـــل وكانوا عاملا قويا في تدعيم هذه الأفكار لديها.

لا تتسم مريم بالجمال الصارخ لكنها تمتلك كل مقومـــات الأنوثة، أهم ما في مريم أنها تعرف جيدا أنها أنثي وتعمل علـى إثراء أنوثتها بالملابس التي تدعم هذه القضية وتخدمها.

مريم فتاة مرحة غير متكلفة متواضـــعة لأكثـــر درجـــات التواضع..تكره الخيانة و الكذب والخداع، لو نظرت إلى مـــريم وتعاملاتها مع الأخرين لاعتقدت أنها أحد الملائكة ولكن الفرق بينها وبينهم أنهم يعبدون الله بينما هي تعبد أي شيء غير الله.

تعرفت يا خالد بمريم عن طريق نور أيضا..كنت ذاهبا معها لحضور معرض لمريم بالتاون هوس وأثناء وجودها معها تعرفت بمريم.

أصبحتما فيما بعد أصدقاء خاصة وأن علاقات مريم المتعددة والمتشعبة قد أغرت طموحك.

لم تكن تناقشها في معتقداها كيلا تغضبها وهي الأخرى لم تترك مكانا للحديث في مثل هذه الأمور بينكما.

مع الأيام تعدت علاقتك بمريم حدود الصداقة وصرت تذهب إلى منزلها كثيرا.. كنت تذهب إلى منزلها لتمارس معها الجنس فقط لا غير. كانت مريم تعرف أنك صاحب نور وأنت أيضا كنت تعرف أها صاحبة عادل، لكن اتفاقا خفيا حدث بينكما بأن تفعلان هذا معا دون أن يعلم نور أو عادل بما تقومان به. كانت مريم تدعي أن علاقتها بك غرضها نبيل.. كانت تدعي أها تترك نفسها بين أحضانك كي تجدد حبها لعادل وكيلا يقتله الملل و التعود. لم تناقشها في أي شيء، لأنك كنت تريد منها الكثير.. كنت لها مطيعا لدرجة جعلتها تتعلق بك جدا، تعودت مريم أن ترتمي بين أحضانك كثيرا. حافظت يا خالد على الاتفاق الذي جرى بينك وبين مريم كيلا تخسر نور أو عادل الذي كنت تحتاج منه الكثير أيضا.استفدت منهم جميعا يا خالد، ولكن هل تعتقد أنك منحت أيا منهم شيئا؟ هل منحتهم مقابل ما صنعوه لك.. هل أعطيتهم من خزائنك بعد أن دخلت ملكوت الآلهة وتربعت على عرش زيوس العظيم؟..هل منحت زيوس شيئا مقابل عرشه؟..هل تعتقد أنه منحك عرشه أم أنك اغتصبته؟

٣

بعد مرور أشهر قليلة على عملك مع طارق إسماعيل بالجريدة، استقال رئيس التحرير وقرر مجلس الإدراة أن يتولى طارق منصب رئيس التحرير.

عدك طارق وش الخير عليه وتفاءل بوجودك إلى جواره..وأعطاك ثمن هذا التفاؤل فوظفك بالجريدة وجعلك قريبا جدا منه..بل كان يعطي لك العديد من الأفكار التي تنشرها الجريدة على صفحات كاملة.

لم يتوقف عطاء طارق لك عند هذا الحد بل رشحك للعمل في فريق إعداد برنامج مهم كنوع من التشجيع لك على نشاطك ومجهودك الكبير.

قربك من طارق علمك الكثير، قدم لك طارق كل ما تعلمه طوال سنوات عمله على طبق من فضة. واستطعت بذكائك أن تهضمه في شهور قليلة..شهور قليلة أصبحت فيها واحدا من أهم محرري التحقيقات في مصر ومن أهم معدي هذه الفقره بالبرامج.

مرور الأيام عليك جعلك تكتشف الكثير من الحقائق التي لم تخطر ببالك قط.

بدأ انبهارك بهذا الوسط يزول شيئا فشيئا خاصة بعد أن دخلت مطبخه وعرفت خباياه وتعلمت ألاعيبه القذرة.

اكتشفت يا خالد أن الآلهة ما هم إلا شـياطين..زيـوس العظيم لم يكن زيوس بل كان بلزعبول كبير الشياطين.

حاولت أن تقنع نفسك بأنك أخطأت الفهم..قـررت أن تسير وفقا للمبدأ الشهير الذي يجردك من كل حواسك فتصبح لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم.

استرحت كثيرا بعد أن فعلت هذا..استرحت لأنك لم تـر سوى مصلحتك ولم تعد تسمع سوى صوتك ولم تعد تـتكلم إلا فيما فيه خير لك.

بعد أن أثبت لطارق وللجميع أن خالد إبراهيم هو أفـضل محرر بهذه الجريدة، صدر قرار رئيس التحرير بتوظيفـك نائبـا لرئيس قسم التحقيقات وسط غضب العديد من زملائك ممـن هم أقدم منك في الجريدة وفي العمل الصحفي.

لولا ذكاؤك يا خالد لفقدت كل شيء، لكـن ذكـاءك مكنك من السيطرة على الجميع واكتساب حبهم جميعا..كنت صديقا للجميع تساعدهم وتطالب بحقوقهم..تكتب أنـت و طارق مسرحية تدعي فيها أنك إسبارتاكوس لتكسب حـب الجميع حتى رئيس القسم ذلك الرجل الخمسيني المتصابي الذي لا يفعل شيئا في حياته سوى مغازلة البنات والـسعي لإقامـة علاقات معهن.

اكتسبت حب رئيس القسم بل وأصبحت صديقا له بعد أن عرفته بالعديد من الفتيات الأجانب اللاتي تعرفت بهن في وسط

البلد..كثيرا ما اتهمت نفسك بأنك قــواد تجلــب العــاهرات لرئيسك.

لكن هذه الفكرة سرعان ما كانت تتراجع لأنك كنت تقنع نفسك بأن كل ما تفعله هو أنك بتعرف ناس على ناس فقـــط دون أن تتدخل في أي شيء، كما أن هــولاء الأجنبيـــات لا يمكن نعتهن بالعاهرات لأنهن لسن كذلك فبالتالي فأنت لست قوادا.

والآن يا خالد هل تعتقد أنك كنت قوادا أم أنـــك كنـــت بتعرف ناس على ناس وبس؟

٤

علاقتك بمريم صنعت نوعا من الفتور في علاقتك بنور الـــتي بدأت تشعر بأن هناك شيء ما يشغلك عنها..في الأيام الأخيرة لم تعد تذهب إليها كثيرا كعادتك، كنت تصطنع حججا واهية لتبرر فيها اعتذارك عن لقائها.

عندما بدأت تشعر بالخطر قررت أن تعيد الأمور لما كانت عليه.

ذهبت إلى منزل نور مبكرا عقب انصرافها مباشرة وقمـــت بترتيب المنزل ووضع باقات الزهور في كل مكـــان..رتبـــت السفرة واتصلت بأكبر مطاعم الأسماك لتحـــضر لهـــا وجبـــة السمك مع شوربة السي فود التي تعشقها نور.

بعد أن انتهيت من كل شيء اتصلت بها وأخبرتهـــا بأنـــك تريد التحدث معها في شيء مهم وأنك ستأتي إليهـــا في تمـــام السابعه مساء.

كانت الساعة قد اقتربت من السادسة، لم تجد شيئا تفعلـــه سوى القراءة في بعض الكتب لحين عودتها.

عندما نظرت إلى ساعتك واكتشفت أنـــه لم يبـــق علـــى موعدكم سوى ربع ساعة فقط، قمت وأطفأت النور وأضأت الشموع التي تحمل رائحة الياسمين والتي تعشقها نور.

وصلت نور في موعدها تماما وكان يبدو عليها الشوق واللهفة لرؤيتك..بمجرد دخولها ورؤيتها لما صنعته لها توجهت إليك مسرعة وجلست على ساقيك وهي تلف ذراعيها حول عنقك وأخذت تقبلك وهي ترجوك أن لا تتركها تعاني من دونك مرة أخرى.

يبدو أن نور افتقدتك فعلا يا خالد، فطوال الوقت الذي قضيته معها لم تفارق أحضانها..لم تفارق شفتاها شفتيك.

تذكرت يا خالد وأنت بين أحضانها موعدك مع عادل صاحب مريم.

لم تجد فرصة أفضل من هذه لتخبرها بطبيعة علاقتك بعادل وبمدى الصداقة التي تربط بينكما، وعن استعدادكما لتصوير فيلم تسجيلي معا تدور أحداثه عن العائلات التي تعيش في العشش الصفيح وتعتمد على الزبالة كمصدر أساسي للطعام وعلى المخدرات والتسول والدعارة كمصدر أساسي للرزق.

نجحت يا خالد وقتها أن تزيل كل الشكوك من رأسها وأن تستبدلها بفرحة عارمة سيطرت عليها.

ازدادت ثقة نور بك بعد أن ايقنت ان رهانها عليك قد نجح وأنك بالفعل اقتربت من دخول ملكوت الآلهة العظام.

أخبرتك نور أنك لابد من أن تستفيد من علاقتك بعادل الذي يعد من أفضل مخرجي الأفلام التسجيلية في مصر و الوطن

العربي حاليا، خاصة وأن علاقاته مكنته كثيرا من عرض أفلامه بالعديد من مهرجانات السينما العالمية.

توقعت أن تسألك نور عن طبيعة علاقتك بمريم خاصة وأنها رأتك معها كثيرا، لكنها لم تفعل هذا مما زاد من ريبتك وخوفك من أن تكون نور قد اكتشفت شيئا.

فكرت أن تخبرها بأنك تلتقي بمريم كثيرا لتدعيم علاقتك بمن تعرفهم من مخرجين وغيرهم من العاملين في مجال صناعة السينما، لكن عقلك قابل الفكرة بالرفض خوفا من إثارة شكوكها أكثر.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تشعر فيها بأن عقلك عاجز عن التفكير.. كنت تريد أن تكسب كل شيء، دون أن تخسر شيئا.

المعادلة كانت صعبة جدا عليك، كانت أكبر بكثير من قدراتك الذهنية التي كنت تتوهم أنها خارقة.

حاولت يا خالد أن تفوز بكل شيء..بالرغم من يقينك بأنه من المستحيل أن يحدث هذا. أقنعت نفسك بقدرتك على فعل هذا، وتبدل يقينك وأصبحت تؤمن بأنك ستفوز بكل شيء لأنك أصبحت إلاها والآلهة لا يخسرون ولا يقف في طريقهم شيء فهم يقولون للشيء كن فيكون.

الآن يا خالد وبعد أن كان ما كان هل تعتقد أنك فزت بكل شيء؟، هل آمنت بأنه لا إله في هذا الكون إلا الله؟.

٥

قال لك زيوس العظيم مرة وأنتما جالسان على البار في "إستوريل" بعد أن شرب ما يقرب من نصف زجاجة شيفاز وبدأ السكر واضحا عليه أنه تربى على يد أستاذ كبير علمه فنون الصحافة وساعده كثيرا وجعله يدخل جنته ويصبح واحدا من المقربين إلى عرشه.

جعله يقتحم عالم الصحافة والأدب بقوة دون خوف من أي شيء..كانت هذه هي المرة الأولى التي ترى فيها زيوس العظيم يبكي، حاولت أن تجعله يتوقف عن البكاء لكنه كان يواصل كلامه وكأنك لا تجلس أمامه..التزمت الصمت عندما أصبحت متلهفا لسماعه حينما قال لك "عارف أنا ليه بساعدك يا خالد؟".

لم تجد ما تقوله له، ولم يترك لك هو الفرصة للكلام باغتك بقوله "علشان إنت واطي زيي".

صدمتك كلمته وبدت عليك علامات الغضب..كنت تظن أنه سكران وأنه يقع تحت تأثير الخمر الذي أسرف في شربه، لكنه في الواقع كان أكثر إدراكا منك.

نظر إليك وقال وهو يضحك بطريقة هيستيرية "إنت زعلت؟..هي الحقيقة دايما كده بتوجع".

عندما هممت بالنهوض للرحيل، أمسك بذراعك وقال لك "بطل شغل العيال ده، اقعد واسمعني كويس".

كان كلامه بعد ذلك بمثابة صدمات متلاحقة جعلتك في حالة من السكر أقوى مما كان هو فيها..أخبرك يا خالد أنه خان أستاذه وتسبب في وفاته بعد أن أصيب بأزمة قلبية حادة نتيجة لصدمته فيه.قال لك وهو يبكي إنه خان أستاذه وتسبب في فضيحته مما جعله يفقد مصداقيته ومكانته ويخسر منصبه الذي حصل عليه طارق فيما بعد.

صدمك إلهك عندما أخبرك أنه اختارك لتكفر عن ذنوبه وتخلصه من إحساسه بالذنب تجاه أستاذه الذي لم يقدم له سوى الخير والمساعدة.

صدمك عندما قال لك إنه على يقين تام من أنك ستفعل به مثلما فعل هو بأستاذه، كنت تنظر إلى حالة السعادة التي تعتريه وهو يخبرك بأنه يتمنى أن تفعل هذا به بذهول.

تعجبت من ذلك الرجل الذي يتمنى أن يخونه شخص ليخلصه من ذنوبه.

بالرغم من تأثرك بكلامه إلا أنك قررت التعامل معه وكأنه مجنون يهذي بكلمات لا يعرف معناها ولا خطورتها.

أقنعت نفسك بهذا وقررت أن تنسى الأمر برمتـــه، حـــتى عندما التقيته في اليوم التالي وسألك عما حدث أخبرتـــه بأنـــه أسرف في الشرب فقط.

لم تخبره بما قال وقررت أن تنساه..لا أعتقد أنك نسيته يـــا خالد، أعتقد أنه عاد إلى ذاكرتك الآن وبقوة.

هل تأكدت من صحته الآن..هل طهـــرت إلاهـــك مـــن خطاياه أم تركته يبحث عن قس الغفران ليطهره مما يعاني منه؟

الحقيقة اقتربت من الظهور واقتربت من أن ترى نفـــسك على حقيقتها..أصبحت عاريا تماما أمام نفسك و لم يعد أمامك سوى الاختيار يا خالد.

٦

عندما التقيت عمر صدفة في مؤتمر صـــحفي..تـــرددت في الذهاب لمصافحته لكنك في النهاية قررت أن تفعل هذا خاصة عندما رأيته يقف إلى جوار عدد كبير من مشاهير الأدب.

تقدمت وعلى وجهك ابتسامة واضحة..كنت تتوقع منه أن يقابل تحيتك بقلة ذوق كعادتـــه، لكنـــه صـــدمك بمبادرتـــه باحتضانك وتقبيلك.

لم تتعجب كثيرا من تغير معاملة عمر لك، لأنك تعلم جيدا أنه يفعل كل شيء في سبيل مصلحته.

قد يكون يكرهك ولكنك الأن اصبحت في مكـــان يحـــتم عليه أن يتحول هذا الكره إلى حب وصداقة قوية.

بعد الحفل دعاك عمـــر إلى العـــشاء معـــه في أي مكـــان تختاره..وأرجع سبب هذه الدعوة إلى محاولته الاعتذار لك عما بدر منه في الماضي تجاهك.

كنت تضحك في نفسك وأنت تسمع مبررات اضـــطهاده فيما سبق..كانت كلها مبررات واهية تؤكد لك صـــحة مـــا عرفته عنه، وبما أنك تبحث عن مصلحتك، وبما أن عمر يملك الكثير ليقدمه لك قررت أن تكسب صداقته و تجعله يـــصدق أنك نسيت ما فات.

أول مكسب حصلت عليه من عمر كان مناقشته للعديد من التحقيقات التي تنشرها بجريدتك في البرنامج الذي يقوم بإعداده واستضافته لك. استفدت كثيرا من هذا على المستوى الأدبي فعرفك الكثير، وعلى المستوى المادي إذ حصلت على مقابل حضورك هذه الحلقات، وعلى مستوى العلاقات الشخصية تعرفت بالمزيد من الأشخاص الذين دعموا موقفك كصحفي وأمدوك بالمزيد من المعلومات المهمة التي جعلتك تكتب عن الكثير من القضايا التي صنعت منك شخصا ناجحا بمعنى الكلمة.

حاولت نور أن تحذرك من عمر لأنها تعرفه من قبلك وتعرف ألاعيبه جيدا..كانت تتعجب من الخدمات التي يقدمها عمر لك بشكل مبالغ فيه.

كانت تتخيل أنك لا تعرف أن عمر لا يعطي دون مقابل..لكنك تعرف هذا جيدا.

العلاقة بينك وبين عمر كانت قائمة على الحرب الباردة، كلاكما يظهر الحب للآخر في الوقت الذي يحاول فيه اصطياد غلطة للثاني كي يقتله بها.

كنت حريصا جدا في تعاملك مع عمر ولكن بالطريقة التي لا تجعله يعرف أنك تشك فيه أو تدرك ألاعيبه.

كلاكما كان ينتظر أن يضحك على الآخر..عمر ضـــحك كثيرا في البداية، وكلاكما ينتظر الضحك في النهايـــة..فمـــن يضحك أخيرا يضحك كثيرا.

الآن يا خالد هل تعرف من منكما الفائز؟..من انتصر ومن ضحك ومن تمتع بشرب النبيذ الممزوج بدم الآخر؟

٧

كل يوم يمر على علاقتك بنور كان يثبت لك أنها شـــخص غريب عنك..شخص يحمل الكثير من الخبايا و المفاجآت.

عندما سافرت منار للحصول على الجائزة الـــتي حـــصلت عليها من أحد مهرجانات الرواية بالأردن، قـــررت نـــور أن تذهب للعيش مع شيري في تلك الفترة.

تعجبت من قرارها، ولكنك ارتحت لأن هـــذا ســـيعطيك الفرصة للتواصل مع مريم بشكل يرضيها ويرضيك.

كان بداخلك هاجس بأن نور ستقضي أيامهـــا بـــشقتها القديمة في أحضان شيري.

لم تكن تعرف سر هذا الهاجس لكنك كنت على يقين تام من هذا..دفعك فضولك أن تسألها عن طبيعة علاقتها بـــشيري وإذا كانت تترك لشيري الفرصة للاستمتاع بجسدها أم لا؟.

عندما قلت لنور هذا نظرت إليك وانطلقـــت في ضـــحكة ساقطة ثم قالت لك بصوت فتاة ليل "إنتي بتغيري يا بيضة؟".

تعجبت من طريقتها في الكلام و حاولت جاهدا أن ترسم على وجهك علامات الغضب.

لم تترك نور لك الفرصة لتفعل هذا فاقتربت منك وبـــدأت تداعب جسدك وهي تقبل شفتيك قبل أن تعتلي جسدك الملقى علي أحد كراسي الأنتريه بشقتها. حاولت ان تمنعها لتكمـــل حديثك .. لكنها استمرت فيما تفعله.

بالرغم من علاقاتك النسائية المتعددة إلا أن نور الوحيـــدة التي كانت تملك مفاتيح جسدك، كانت تعرف كيف تـــثيرك وكيف تخمد شهوتك..كيف تمنعك عنها وكيف تقنعك بأنك غير راغب بها.

عندما لاحظت نور إصرارك على معرفة الحقيقة..جلـــست أمامك وهي ترتدي ملابسها الداخلية فقط ـــ كانـــت قـــد تخلصت من ملابسها في لحظات ـــ وقالت لك بصوت يشوبه الغضب والحدة "هو أنا كنت سألتك إنت بتنام مع مـــريم و لا لأ؟".

صدمك ردها..انفعلت حاولت أن تنهض لكنـــها قيـــدت حركتك بعد أن جلست عليك وكأنها تجلس علـــى حـــصان وقالت هامسة في أذنك وهي تقبلها "حبيبي كل واحد فينا ليه نزواته، وده شيء طبيعي علشان مش نزهق من بعـــض..بـــس الفرق بيني و بينك إني مش بخونك مع راجل علـــشان مـــش تزعل".

وقع كلامها عليك كالصاعقة..شعرت بحالة من الدوخة ورغبة في التقيؤ، طرحتها أرضا ثم جريت إلى الحمام لتخرج كل ما بداخلك من قذارة وقبح.

دخلت خلفك بسرعة وقفت خلفك وهي تلامس جسدك بيدها في محاولة منها للاطمئنان عليك.

استدرت .. لم تكن الرؤية واضحة، كنت ترى ملامحها مشوشة..كانت الدنيا تتداعى من حولك، وكان غضب الرب قد حل بك.

عندما أفقت وجدت نفسك داخل غرفة فاخرة بواحدة من المستشفيات الاستثمارية التي كنت تطلق عليها فيما مضى "فنادق ٧ نجوم"..اكتشفت أنك بها منذ ثلاثة أيام..ثلاثة أيام وأنت في غيبوبة كاملة.

أفزعك الأمر لأول وهلة..المحاليل المعلقة بيدك..جهاز المونيتور الذي يرصد ضربات قلبك، حاولت أن تتعرف على الحياة من حولك لكنك فشلت.

بعد لحظات دخلت عليك الممرضة لتتفقد أحوالك..سألت عما تشعر به..أجبتها بأنك تشعر بنوع من الدوخة.

خرجت ثم عادت بعد لحظات ومعها الطبيب الذي جلس إلى جوارك وأخذ يتحدث معك..عندما سألته عن حالتك الصحية قال لك إنك سليم عضويا مية في المية، وكل ما تحتاجه هو عرض نفسك على طبيب نفسي.

ضحكت و قلت له "إيه يا دكتور هو أنا اتجننت؟"..أجابك وهو يضحك قائلا "عيب عليك المفروض إنك صحفي ومتعلم وفاهم كويس إن المرض النفسي زيه زي أي مرض..ونفس البني آدم بتتعب من كتر الضغوط و مشاكل الحياة".

لم تكن تملك من القدرة ما يمكنك من الاستمرار في الحوار معه، فأخبرته بأنك تشعر برغبة في النوم.

طلب من الممرضة أن تعطيك الحقنة التي لم تـــشعر بـــشيء بعدها إلا عندما أفقت ووجدت نفس الممرضـــة تجلـــس إلى جوارك..سألتها عن الوقت الذي نمته فأخبرتك أنـــه خمـــس ساعات.

أحضرت لك الأكل وبعد أن انتهيت منه أخبرتك بأن هناك عدد من الأصدقاء بالخارج يريدون مقابلتك..سألتك هل تريد مقابلتهم؟، فحركت رأسك موافقا.

بعد لحظات دخل عمر وعادل وطارق ونور ومريم وشيري.

كلهم كان حولك.. ينظرون إليك وعيونهم كلها شـــفقة وخوف عليك. لم تنطق بكلمة واحدة لم تعرف سبب صمتك، كل ما كنت تشعر وتفكر به هو أن ما حدث لـــك بـــسببهم جميعا..كلهم أفسدوا نفسك وجعلوها مخربة من الداخل.

تظاهرت بالإعياء والرغبة في النوم، فاقترب منك الجميـــع وأخذوا يقبلونك وهم يتمنون لك الشفاء.

بعد رحيلهم سألت الممرضه هل هناك شخص آخر بالخارج فأخبرتك بأن أمك وأباك بالخارج..حاولت أن تنهض بـــسرعة لتخرج لهم لكنها طلبـــت منـــك أن لا تبـــذل أي مجهـــود وستجعلهم هي يدخلون إليك.

لحظات واندفعت أمك باكية تضمك إلى أحضانها..كانت تبكي وكأنك مت، تعليمها البسيط حال دون فهمها حالتـــك التي فسرها لها الطبيب.

كان أهون عليها أن يخبرها الطبيب بأن لديك مرضا خطيرا سيحتاج إلى عملية أو إلى علاج طويل الأمد على أن يخبرهسا بأنك سليم وكل ما تحتاجه هو علاج نفسي ليس إلا. حاولت أن تطمئنها عليك، لكن كل كلامك كان يزيد مـــن حالـــة حزها. خاصة وأنك لم تكن تملك القدرة على النطق بطريقـــة جعلتها تتأكد من أنك اصبحت بالفعل مجنونا. بعد ما يقـــرب من أسبوع سمح لك الطبيب بالخروج مـــن المستـــشفى مـــع التشديد على ضرورة الذهاب إلى طبيب أمراض نفسية لعرض نفسك عليه واقترح لك بعض الأسماء التي يثق ها وطلب منك أن لا تخشى شيئا فالعلاج النفسي يتسم بالسرية الكاملة.

تفهم الطبيب ما كنت تريد أن تقوله دون أن تنطق بحـــرف واحد..كان يعرف جيدا أنك تخشى من أن يعرف الناس هـــذا مما يؤثر على مكانتك وعملك.

مرت أيام وأنت تفكر في الأمر إلى أن قررت أن تذهب إلى طبيب نفسي خاصة مع شعورك بأن حالتك تزداد سوءا يومسا بعد يوم. كانت لديك رغبة قوية في إيجاد قس الغفران لتعترف له لتتطهر من كل ذنوبك وخطاياك أمامه.

كان العلاج النفسي بمثابة مرحلة جديدة في حياتك..صفحة فتحتها الحياة وسطر مرضك حروفها وكلماها. كانت هـــذه

هي المرة الأولى التي تشعر فيها يا خالد بالضعف..كنت تشعر بأن كل ما يربطك بهذه الأرض مجرد خيوط واهية تمزقها الأيام برياحها لحظة بعد لحظة.

قررت في نفسك أن تنتقم منهم جميعا.. لم تكن تعرف سبب رغبتك في هذا لكنها كانت تلح عليك في كل لحظــة دون أن تعرف السبب أو طريقة تنفيذ هذا.

هل تشعر بالراحة الآن يــا خالــد بعــد مــا حققــت حلمك..بعدما أرضيت روحك؟، منذ فترة و أنت تشعر بأنك مجرد كائن هلامي تراه الناس ولا يرى نفسه..كثيرا ما كنــت تشعر بأنك على حافة الجنون خاصة عندما كنت تقف أمــام المرآة فلا ترى سوى شبح إنسان لا تستطيع أن تحدد ملامحه.

٩

منذ طفولتك يا خالد ولـــديك رغبـــة قويـــة في امـــتلاك مسدس..كانت متعتك الكبري هي أن تقف أمـــام محـــلات السلاح لتشاهد أحدث الأنواع وتتعرف بأســـعارها، كانـــت لديك رغبة قوية في امتلاك سلاح دون أن تعرف سبب هذا أو أن تتوصل إلى مصيره معك.

اتصلت بصديق لك يعمل بالشرطة برتبة رائـــد وأخبرتـــه برغبتك في استخراج تصريح بحمل السلاح..ساعدك علي هذا وذهب معك إلى أحد محال السلاح بوسط البلد واشترى لـــك بنفسه المسدس.

أخيرا حققت حلمك وامتلكت هذا الكائن الذي لم تكـــن ترغب فيه إلا لتحقيق حلم قـــديم لـــديك..وضـــعته في درج مكتبك، وحرصت على تنظيفه بشكل أسبوعي وأنت تتفقـــد خزانته والتسع رصاصات التي لا تملك غيرها.

عندما شاهدت نور المسدس أفزعها أول الأمـــر..لم تكـــن تعرف بأن لديك رغبات دموية..عنـــدما قالـــت لـــك هـــذا ضحكت وقلت لها إنك اشتريته لتحقيق حلم قديم كان يلـــح عليك منذ سنوات الطفولة.

حاولت أن تصدقك، لكنك كنت تعلم جيدا أنها بدأت في الخوف منك خاصة في الأيام الأخيرة التي انتابتك فيها تغيرات واضحة وعصبية مبالغ فيها.

أصبح التوتر شيئا طبيعيا تعود عليه كلاكما..حاولت نـــور كثيرا أن تستغل أنوثتها في القضاء على كل آلامـــك..لكنـــها كانت تعمق من الجرح الذي كان بـــداخلك دون أن تـــدري بهذا.

لاحظت نور أنك أصبحت عنيفا جدا معها في اللحظـــات التي تسلم فيها جسدك إليها، فكثيرا ما ضغطت على جـــسدها بطريقة مؤلمة أو جذبتها من شعرها أو تعمدت إحداث جـــرح في جسدها.

بدأت علامات السادية تظهر عليك بوضوح، كـــل هـــذا أشعل من رغبات نور الشيطانية التي كانت تتمتع بكل ما تحدثه بجسدها من ألم وتعذيب..يبدو أنها كانت مثلك تماما.

اعتدت على أن تذهب إلى مريم مباشرة عقـــب أي لقـــاء يجمعك بنور..كنت تفعل نفس الشيء مع مريم دون أن تشعر بأي شيء..تحولت إلى آلة أصاب جهاز التحكم بها خلل أدى إلى ازدياد حركتها ونشاطها بطريقة غريبة وغير معتادة.

الشيء الذي كان يدور بذهنك دائما هو لماذا تفعل كل هذا..لماذا تضاجع نور ومريم وأنت تشعر بقرف من كليهما؟.

كنت تظل بالحمام لمدة تزيد عن الساعة عقب أي لقاء لك معهما تتقيأ وتغسل جسدك بقوة وأنت ترجو الماء والصابون أن يخلصاك من آثار جسديهما على جسدك.

وبالرغم من هذا كنت تعود وتفعل نفس الشيء ثم تصلي للماء كي تطهرك من آثارهما.

بدأ جميع من حولك يشعرون بأن عقلك قد أصابه شيء..أصبحت تمارس عملك بنشاط أكبر وتشرب بشهوة أكبر أصبحت تفعل كل شيء بطريقة غير طبيعية وكأنك في صراع مع الوقت لفعل كل شيء تريد أو لا تريد فعله.

أهم شيء حدث لك في تلك الأيام أن رئيس قسم التحقيقات قد اعتذر عن تولي رئاسة القسم لرغبته في التفرغ لمشروع أدبي لم يعلن عنه..وكنت تعرفه جيدا- كان يستعد لتولي رئاسة إحدى القنوات الفضائية الجديدة ـــ رشحك لتولي رئاسة القسم بعده وسط ذهول جميع محرري القسم الذين كانوا على يقين تام من أنك صحفي مجتهد وقوي ولكن هذا لا يبرر وصولك إلى منصب أحق به من هم أقدم منك بالمهنة وبالجريدة.

وكالعادة لم يهتم صديقك ورئيس تحريرك طارق إسماعيل بكلام أحد ووقع على قرار توقيعك رئيسا للقسم وعلقه في اللوحة التي تتوسط صالة تحرير الجريدة.

ساهم هذا القرار في تحسين حالتك النفسية لفترة بسيطة..كان هذا بسبب شعورك بأن ما يفصلك عن تحقيق حلمك أقرب من زفرك للنفس الذي بداخلك.

اقتربت يا خالد من تحقيق حلمك..بل حققت جزءا كبيرا منه، ولكن هل تعتقد الآن أن كل ما حققته له قيمة؟

هل أنت سعيد بما أنت فيه الآن؟..هل ترغب في الاستمرار؟

أم أتى وقت الرحيل؟

١٠

مع اقتراب نهاية عامك الثاني شهدت علاقاتك بمجلس التحرير تقدما ملحوظا..خاصة عقب قرار توظيفك رئيسا للقسم صدر قرار آخر بضمك لمجلس تحرير الجريدة.

كل هذا حدث لك وأنت على مشارف الثلاثين من عمرك..سنك الصغيرة وقدراتك الرهيبة وذكاؤك الخارق جعل الجميع يعدك معجزة الصحافة في هذا العصر. بل إن الكثير توقع لك أن تتولى رئاسة تحرير جريدة خلال الأعوام التالية.

كان الجميع على يقين من أنك قادر على فعل هذا..لم يمنعك منصبك من الاستمرار في عمل التحقيقات بنفسك مما أثار تعجب الجميع..فكانت هذه هي المرة الأولى تقريبا التي يشاهدون فيها رئيس قسم يعمل بيده ولا يكتفي بالإشراف وتوجيه النصائح والإرشادات للمحررين.

لم تكتف بهذا بل طلبت من رئيس التحرير عمل ورشة عمل صغيرة تضم طلاب الجامعات من الموهوبين لتدريبهم على العمل الصحفي واختيار أفضلهم للعمل في الجريدة.

أعجب إلاهك العظيم بالفكرة جدا وأسند إليك مهمة الإشراف عليها.

صنعت يا خالد الكثير من المحررين كنت تتفانى في تقـــديم كل خبراتك إليهم..ترتب لهم محاضرات يلقـــي فيهـــا رمـــوز الصحافة دروسا عن فنون الصحافة.

كنت تتمنى أن تصنع شيئا يبقى ويستمر للأبد ليخلد اسمك ويتذكره الجميع بعد رحيلك عن الحياة التي كنت تتصور أنـــه اقترب.

نجحت فكرتك وقدمت العديد مـــن المواهـــب للجريـــدة ولكنك بالرغم من هذا لم تشعر بأنك حققت هدفك، فأخذت تبحث عن غيرها.

بحثت يا خالد في عقلك عن فكرة تخلد اسمك..فكرة تغزو كل بيت..فكرة تتحدث عنها الأجيال القادمة ويظلوا يحلفون بها وبعبقريتك في صنعها.

فكرت كثيرا ولكنك لم تصل إلى شيء حتى أصابك الملـــل وقررت أن تترك الأمر للظروف التي صارت تتحكم في الكثير من حياتك.

مثلما تحسنت علاقتك بمجلس تحرير جريدتك تحسنت أيضا بنور التي اقتربت منها كثيرا، واصطحبتها معك في العديد مـــن الرحلات إلى داخل مصر وخارجها.

كانت لديك رغبة قوية في الزواج بها..عقدت النية على هذا خاصة وأنك كنت ترغب في إنجاب طفل يخلد اسمك..كنت تتخيل أن هذه هي أفضل طريقة للحفاظ على اسم خالد إبراهيم. ومع أن نور لم تكن بها كل مواصفات الزوجة التي تحلم بها إلا أنك قررت أن تتبع معها مبدأ "اللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفهوش"، خاصة وأنك كنت على يقين تام من أن نور تحبك حبا أسطوريا وأنها كانت تتمنى أن تأتي لك بالدنيا وما فيها.

رأيت يا خالد في زواجك من نور أفضل رد للجميل الذي صنعته لك، بالإضافة إلى أن المصلحة مشتركة..فنور لن تجد في مجتمعنا الشرقي من يتزوجها بعد أن فقدت عذريتها بالإضافة إلى أنها اقتربت من الثلاثين هي الأخرى وهو ما يعني تضاؤل فرصتها في الزواج..كذلك ستحقق لك نور حلمك في إنجاب طفل تتمتع بتربيته ومنحه كل ثروتك التي كنت تتمنى أن تصل إلى المليون جنيه.

قررت أن تفعل هذا يا خالد ولكن شيئا ما منعك عن فعل هذا دون أن تعرف السبب..الحقيقة أنك لم تلغ الفكرة نهائيا من عقلك، ولكنك قررت أن تؤجلها بعض الوقت لحين تحقيق هدف لم تكن أنت شخصيا تعلمه.

كل ما كنت تشعر به هو أن هناك شيء مهم ستقوم بــه خلال الأيام القليلة المقبلة..عمل سيقلب الدنيا رأســا علــى عقب.

هل عرفته الآن يا خالد..أعتقد أنك عرفته ولكنك لم تقرر بعد هل ستتزوج من نور أم لا؟..هل تعرف الإجابــة؟..هــل تعتقد أن ما فعلته وقلب الدنيا فعلا رأسا على عقب هو هدفك المنشود أم أن هناك غيره؟

لابد أن تصل يا خالد إلى الإجابة لأن الأيام تمر وخيوطــك في طريقها للفناء.

١١

اتصل بك طارق إسماعيل وألح عليك في الحضور إليــه في إستوريل لأنه يرغب في قول شي مهم لك..حاولت أن تتهرب منه لأنك كنت على علم بأنه مخمور وأنه سيهذي بأشياء لــن تجني منها سوى وجع الدماغ لكنه ألح عليك فلم تجد مفرا من الذهاب إليه. عندما دخلت إستوريل وجدته يجلس على طاولة على غير عادته، فلم يكن يجلس إلا علــى البــار..جلــست أمامه..عرض عليك أن تشرب شيئا فرفضت متعللا بــشعورك بألم في معدتك.

ظل الصمت يــسيطر علــى الحــوار إلى أن قــررت أن تقطعه..سألته بصوت حاولت أن تغلفه بالقلق قائلا: "خير يــا أستاذي فيه إيه؟".

أخبرك طارق أنه ينوي كتابة مذكراته والتي سيحكي فيهــا عن كل ذكرياته مع رجال السلطة ورجال المعارضة..تخوفــت كثيرا عندما قال لك طارق هذا لأنك تعلم جيدا مدى خطورة مثل هذا التصرف.

حاولت أن تقنعه بالتراجع عن قــراره بكتابــة مذكراتــه وطلبت منه دراسة الأمر جيدا قبل أن يفعل أي شيء لكنه كان مصرا إصرارا شديدا.

ظل الصمت يخيم عليكم لفترة استمرها كــل منكمــا في التفكير بالأمر..وصلت أخيرا يا خالد إلى فكرة أعجبته كــثيرا وقرر أن ينفذها. اقترحت عليه أن يقوم بكتابة مذكراته ولكن لا ينشرها في حياته ويوصي بنشرها بعد موته وبهذه الطريقة لن يتمكن الغاضبون من فعلته هذه الانتقام منه ووضعه في أحــد المعتقلات ليقضي بها ما تبقى من حياته.

أعجبته الفكرة جيدا وقرر أن يعمل بنصيحتك خاصة عندما حذرته من خطورة أن يفعل هذا في حياته.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تشعر فيها بالخوف علــى طارق إسماعيل..كان هناك شعور غريب بداخلك، شعور أكد لك أنه بمثابة أب لك.

عندما لاحظت أن طارق عاد لصمته مرة أخرى أردت أن تخرجه من هذه الحالة بإلقاء نكتة أو أي شيء يجعله يعــود إلى طبيعته..نظرت إليه وقلت وأنت تضحك "لو عملــت كــده هتبقى في أمان، مهو مش معقول إنهم هيعتقلوا واحد ميت".

نجحت خطتك وضحك طارق بالفعل وقال لك وهو يفكر فيما قلته "موضوع إني هبقى في أمان ممكن، لكن بصراحة أنــا مش متأكد إذا كان ممكن يعتقلوا ميت ولا لأ".

ضحكت وضحك طارق وظهرت علامات الفــرح عليــه عندما اكتشف أنك تخاف عليه فعلا..أنت أيضا كنت ســعيدا لأن أستاذك يهتم برأيك ويستشيرك في أمر مهم مثل هذا.

بعد لحظات أخذ طارق يروي لك تفاصيل مذكراته ومـــا سيذكره بها من حقائق ووقائع موثقا إياها بالصور والمستندات التي تدل على صحة كلامه..مذكراته كانت خطيرة بالفعل لأنه سيتعرض فيها بالذكر للعديد من الشخصيات الهامـــة ســـواء كانت في صفوف المعارضة أو الحزب الحاكم. بالرغم مـــن أن طارق رئيس تحرير جريدة مستقلة وهو ما يعني أنها لا تتبع جهة حكومية أو أي حزب من الأحزاب إلا أن علاقاته كانت قوية جدا برجال الحزب الحاكم والمعارضة أيضا.

أخبرك طارق بأنه سيتحدث عن ذلك المسؤول الذي طلب أن يقيم معه علاقة..وكيف تخلص طارق من الموقـــف دون أن يثير غضب الرجل -وفقا لما هو مذكور في بطاقته الشخـــصية فقط- قال لك طارق إن هذا المسؤول ـــ الكبير جدا ـــ عندما التقى به في اليوم التالي وسأله عما حدث قال له إنه لا يتـــذكر أي شيء لأن كليهما كان مخمورا لدرجة تمنعه من تـــذكر أي شيء.

أرضى كلام طارق الرجل وطمأنه بالرغم من أنه كان على يقين تام من أن طارقا يتذكر كل شيء، لكن تجاهـــل طـــارق للأمر هو ما جعله يطمئن.

قال لك الكثير..وعرفت منه معلومات لم تكـــن تتخيلـــها مطلقا، ثقته بك جعلتك تشعر بدونيتك لأنك كنـــت تـــسعى دائما لاستغلاله فقط.

بعد أيام ومع اقتراب ليلة رأس السنة أخبرك طارق بأنه بدأ بالفعل في كتابة مذكراته وأنه قرر أن يمنحك إياها بعد الانتهاء منها لتتولى أنت مسؤولية نشرها بعد وفاته. رفضت بشدة لكن إلحاحه وقوله بأنه لا يستطيع أن يأتمن أي شخص غيرك على مثل هذا الأمر المهم جعلك توافق..خاصة وأنك شعرت أن توليك أمر نشرها سيرفع من رصيدك الصحفي.

سيطر عليك يا خالد في تلك الأيام شعور بأنك تحب طارقا مثل أبيك وأنك على استعداد لفعل أي شيء من أجل هذا الرجل الذي منحك ثقته وساعدك كثيرا وصنع منك اسما كبيرا..قررت أن ترد له الجميل يا خالد، ولكن الآن بعد كل ما كان هل تعتقد أنك قمت برد الجميل له؟

١٢

منذ طفولتك وأنت تحب قدوم العام الجديد..ثَـمّ شـعور يسيطر عليك دائما بأن العام الجديد سيحمل لك المزيـد مـن الأخبار السارة.لكن هذا العام بالتحديد لم تشعر بهذا..علـى العكس تماما كان الشعور بالخوف هو الذي يسيطر عليك.

ربما كان هذا بسبب إصابة علاقتك بنـور بـشيء مـن الفتور..في الأيام الأخيرة أصبحت نور أقرب إلى منار وشيري منك.

صارت تتساحق معهن في مغـامرات جـسدية وعاطفيـه تعودت عليها وأصبحت تحبها وتتمتع بها..انشغال نور عنـك أتاح لك الفرصة للقرب أكثر من مريم التي انفصلت عن عادل بسبب إصراره على الهجرة إلى الخارج.

اكتشفت مريم أن عادل يرتبط بفتاة أمريكية أتـت لمـصر لتدرس اللغة العربية وقرر أن يسافر معها إلى بلادها.

اقتربت أكثر من مريم خاصة مع شعورك ببرود نور التـام الذي أخذ يتضاعف مع الأيام، مما جعلك تتراجع عن فكرتك في الزواج بها..فلم يعد عقلك يستطيع الموافقة على زواجك من فتاة تتغلب على رغبتها الجسدية بالانسحاق تحت فتاة مثلـها، لأنها لابد وأن تختار إما هذا أو ذاك ولا يمكن أن تكون الاثنين معا.

اقترابك من مريم جعلك تكتشف فيها أشياء جديدة أشـــياء لم تكن تعرفها من قبل..اكتشفت أن مريم فتاة رقيقـــة ســـوية نفسيا لا تحمل في نفسها كرها لأي شخص مهما فعل بها.. لم تكن مريم مثل نور ترتبط بأشخاص لمجرد رغبتها في إيجاد بديل حيوي لممارستها العادة السرية، على العكس تماما كانت مريم تحب الشخص الذي ترتبط به وتسعى لأن تتزوجه وتنجب منه أبناء. كانت لديها أحلام كثيرة تحمل الطابع الطفولي..لا تدل إلا علي براءتها المتناهية.

حيرتك مريم بالفعل فلم تعد قادرا على تحليل شخصيتها، لم تعرف هل هي فتاة محترمة يمكن أن تحمـــل اسمـــك، أم أنهـــا ستسعى لإقامة علاقات مع غيرك من الرجال حـــتى لا تـــشعر بالملل منك مثلما فعلت هذا مع عادل من قبل؟.

مرت الأيام و لم يبق على ليلة رأس السنة ســـوى يـــومين فقط..بدأ الجميع في الترتيب للحفـــل..اختلفـــت الآراء بـــين الاحتفال به في مكان عام وسط الناس أو إقامته في أية شقة من شقق الشلة.

استقر الأمر في النهاية على إقامته في شقة نور لأنها تقـــع في مدينة ٦ أكتوبر وهدوء المكان وقلة السكان سيجعلهم علـــى راحتهم.

اقترح كل واحد منهم شراء شيء و لم يتبق سوى الطعـــام الذي قررت أنت تولي أمره.

كنت متخوفا من هذا الحفل لأنك كنت تعلم جيدا مــدى جنون هذه المجموعة ورغبتهم في فعل أي شيء يتمــردون بــه على أي شيء صحيح، أو غير صحيح.

كنت لا تستبعد أن يتحول الحفل من ليلة لرأس الــسنة إلى حفل جنس جماعي..خاصة وأن إصرارهم على الاحتفال به في مكان خاص كان غريبا وهو ما جعلك تتأكد مما في رأسك.

أخبرت مريم بأنك قد لا تــذهب إلى الحفــل وســتكتفي بإرسال الطعام إلى هناك لأنك لا تريــد أن تــرى أي شــيء يزعجك.

عارضتك مريم بشدة وأخبرتك بأنك قد تجد الفكرة الــتي تبحث عنها هناك..كنت قد أخبرت مريم بأنك تبحــث عــن شيء يخلد اسمك، شي يدخل كل بيت. فاقترحت عليــك أن تقوم بكتابة رواية خاصة وأنها تلاحظ أن كل التحقيقات الــتي تنشرها تتسم بالطابع القصصي.

ذكرتك مريم بحلمك القديم..اقتنعت بكلامها لكنك لم تجد الفكرة المناسبة.

كلام مريم لك جعلك تغير موقفك وتتمنى أن تأتي ليلة رأس السنة بسرعة كي تشاهد ما سيحدث مما يتيح لك الفرصــة في الحصول على فكرة رائعة.

أتت ليلة رأس السنة وذهبت إلى الحفل..ما توقعتــه كــان قريبا من الحدوث ملابسهم العارية تماما..نظراتهم الشهوانية إلى

بعضهم البعض..حتي مداعبتهم لبعض كانت تـــدل علـــي أن هناك شيئا ما سيحدث.

بعد أن أعلنت عقارب الساعة عن ميلاد عام جديد..أسرف الجميع في الشرب، كانوا يشربون بطريقة جنونية، وكأن هذه هي آخر مرة سيشربون فيهـــا. كانـــت الإضـــاءة ضـــعيفة جدا..تعمدت نور أن تفعل هذا حتي تعطـــي الجـــو طابعـــا مثيرا..الأشخاص كانوا متداخلين ومتشابكين بطريقة غريبة.

كانوا يطبعون علي شفاه بعضهم البعض قبلات ناريـــة..لم ترد أن تشارك فيما يحدث فاصطحبت مريم ووقفت بها بعيدا.

بالرغم من مداعبة مريم لك إلا أنك لم تقابلها بأي شـــيء يدل على رغبتك في مضاجعتها في هذا المكان..حـــتى عنـــدما همست في أذنك بأنها تريدك طلبت منها أن يكون هذا بعيـــدا عن أعين الجميع وفي مكان آخر. انتهى الحفل وحـــصلت يـــا خالد على ما تريد..رغبتك في الخلود جعلتك تساوم الشيطان على عرشه، فهو الكائن الوحيد من مخلوقات الله الذي كتب له الخلود إلى يوم الدين.

وهو الوحيد الذى تبقى أمامك..ما فعلته يا خالد كان أكبر من قدرات الشيطان نفسه..ما فعلته جعل الشيطان يتنازل عن عرشه لك كي يمنحك الخلود الذي يتمتع به.

فعلت ما تريد يا خالد وحصلت على فكرة أكبر بكثير من أية رواية أو عمل أدبي..ولكن هل منحك هذا الخلود؟.



العام الثالث

عندما غزا أكتافيوس العظيم قيصر الرومان مصر..وعلمت كليوباترا أنه يرغب في عرضها وسط الأسرى مكبلة الأيدي..قررت أن تمنح نفسها الخلود وتقديس المصريين، فأتت بثعبان الكبرى وجعلته يلدغها حتى ترفُع إلى مصاف الآلهة.



١

فرضت على نفسك عزلة بدأت ببداية العام الجديد..قررت أن تبدأ في عملك الذي سيمنحك الخلـود..عملـك الـذي سيكون بمثابة صدمة للجميع.

حصلت على إجازة لمدة شهر من الجريدة وقررت السـفر فيها إلى أي مكان لا يعرفك فيه أحد لوضع الخطوط العريضة لمشروعك الكبير.

فرضت على عملك السرية التامـة حفاظـا عليـه مـن التدخلات التي قد تفسده أو تحول دون خروجه للنور.

في هذه الفترة كانت علاقتك بنور شبه منقطعـة، فهـي لازالت مستمره في لقاءاتها بمنار و شيري وأنت دائم التواجـد مع مريم التي كانت تثبت لك كل يوم أنها شـخص جـدير بالمعرفة.

كنت تلتقي بنور على فترات متباعدة تمارسان فيها الجـنس معا بطريقة آلية وميكانيكيـة، بطريقـة لـيس بهـا روح أو إحساس..مجرد مجموعة من الحركات تشبه إلى حد كـبير أي أداء حركي على إيقاع موسيقي..كنتما تفعلان هـذا وكأنـه واجب مفروض عليكما.

كثيرا ما كنت تسأل نفسك وتسألها عن الـسبب الـذي يدفعكما لفعل هذا لكنكما لم تصلا إلى السبب.

قررتما أن تتركا الأمور تسير على طبيعتها وأن لا يتدخل أي طرف منكما لفعل أي شيء.

استمرار نور في لقاءاتها معك كان يجعلك تشعر بأن علاقتها بشيري ومنار مجرد نزوة ستزول مع الوقت..كنت توهم نفسك بهذا خاصة وأنك تعلم أن نور تعشق المغامرات واقتحام كل ما هو جديد عليها مهما كانت العواقب و النتائج.

لم تخبر أحدا بموضوع سفرك غير مريم التي ألحت عليك في الذهاب معك..لكنك رفضت وأخبرتها أنك ستقطع كل صلتك بالعالم في هذه الأيام، لكن دموعها واعترافها لك بأنها تحتاجك جعلك تخبرها بأنك ستذهب إلى الإسكندرية..وافقت على طلبها لكنك طلبت منها أن تترك لك أسبوعا واحدا تختلي فيه بنفسك ثم تأتي إليك.

مرت الأيام سريعا ومضى الأسبوع بسرعة أكبر وأتت لك مريم وكلها شوق إليك..لم تسألها عن أخبار أي شخص من الشلة. واكتفيت بالاطمئنان عليها..كنت تشعر بأنك افتقدتها جدا، عندما اتصلت بك مريم وأخبرتك أنها في الطريق إليك قررت أن تطلب منها الزواج عندما تأتي.

كنت على وشك فعل هذا لولا أنها أخبرتك بأن عادل ذهب إليها المترل ليطلب منها الصلح، وبالرغم من أنها اكدت

لك أنها طردته وأخبرته بأنها لا تريد رؤيته ثانيـــة إلا أنـــك لم تصدقها..كنت تشعر بأنها تكذب عليك.

مازالت ثقتك بها يا خالد مهزوزة و ضعيفة جدا مما حـــال دون تنفيذ رغبتك في عرض الزواج عليها.

حاولت مريم أن تعرف منك أية تفاصيل عن مـــشروعك، لكنك أخبرتها بأنه لم يتكون في ذهنك بعد. قضيت مع مـــريم أجمل أيام حياتك..شعرت خلالها بأنك جـــددت رغبتـــك في الحياة، وبأنك لم تعد في حاجة إلى المهدئات وتلك الأدوية التي تتناولها للتغلب على مرضك النفسي.

انتهت الإجازة سريعا وعدت إلى القاهرة لتعود الحياة إلى ما كانت عليه مرة أخرى..شعرت بافتقادك الشديد لجو الأســـرة فقررت أن تستغني عن العيش بشقتك التي اشـــتريتها بمدينـــة الشروق والعودة إلى مترل الأسرة وأحضان أمك التي فرحـــت بهذا جدا..وجودك إلى جوار أسرتك وجوهم النقـــي الطـــاهر الذي لم يلوثه شيء بعد جعلك تعبث بذاكرتك لتسترجع كل خطاياك.

بعد أيام قليلة من وجودك معهم بدأت حالتـــك النفـــسية تسوء، بدأت تشعر بأنه لا مكان لك وسط هذا النقاء..كنـــت تبكي بكاء شديدا وأنت تصلي خلف أبيك.

قررت أن ترحل عنهم وأن لا تعود إلى العيش معهم مـــرة أخرى كيلا تلوثهم..كانت حالتك تزداد سوءا أكبر مما سبق.

قررت أن تعود إلى طبيبك مرة أخرى..عنفك بشدة لما لاحظه من تأخر حالتك بشكل كبير.

هددك بأنك قد تموت إذا استمر الوضع هكذا. لم تهتم بكلامه و قررت أن لا تعود إليه هو الآخر مرة أخرى.

كنت تشعر بأنك تفقد القدرة على كل شيء..حتى قدرتك على الحياة بدأت تفقدها..اكتشافك الحقيقة يا خالد قضى علي كل أحلامك، بمناسبة أحلامك يا خالد..هل لازالت لديك قدرة على أن تحلم بشيء. أم فقدتها كغيرها من الأشياء؟.

٢

لم تكن قد تخلصت من مفاتيح شقة نور بعد..شعرت برغبتك في الجلوس معها. فقررت الذهاب إليها ومفاجأتها بهذا.

انطلقت مسرعا بسيارتك الجديدة التي دفعت نصف ثمنها ودفع زيوس العظيم النصف الثاني إلى منزلها. عندما سمعت صوتا يتحرك بالداخل تعاملت مع الباب بحذر و فتحته ببطء شديد كيلا تشعر نور بك.

دخلت وتقدمت نحو غرفة نومها..لتفيق بعد ذلك بداخل نفس الحجرة بنفس المستشفى مرة أخرى.

فقدت قدرتك على النطق أيضا..الصدمة كانت شديدة جدا عليك..آخر شيء تتذكره هو أنك رأيت نور ومنار وشيري وفتاتين أخرتين لا تعرفهما يمارسن الجنس معا. صدمت يا خالد ، لأنك كنت تعلم أنهم يريدون فقط أن يكونوا مختلفات، وليست هذه طبيعتهن، كن فقط يبحثن عن التمرد.

لم تتذكر شيئا بعد هذا..كنت تسمع الطبيب يخبر أمك التي كانت تبكي و تولول عليك بأنك تعرضت لصدمة عصبية شديدة بالإضافة إلى إصابتك بأنيميا حادة وأن حالتك النفسية متأخرة جدا .

لم تعد يا خالد تحمل هذه الأشياء لم تعد تطيق أن تبقى في هذا العالم الذي يحيط بك..أصبحت تكرههم جميعا وتكره ما فعلوه بنفسك التي صارت مهلهلة وضعيفة لدرجة اليأس.

قررت الانتقام منهم..مرضك كان يعوقك..رغبتك في الانتقام ساعدتك على التغلب على مرضك. رغبتك في الاستمرار بالحياة حتى تنتقم منهم كانت أقوى من أي مرض.

خرجت من المستشفى بعد أسبوعين وأنت في حالة نفسية شبه جيدة..أول شيء فعلته هو الذهاب إلى الجريدة والتقدم بطلب إجازة بدون مرتب.

كان من الصعب فعل هذا في مؤسسة خاصة لكن حالتك الصحية التي بررت بها طلبك للإجازة جعلت الجميع يتعاطف معك وانتهى الأمر بتوقيع العضو المنتدب عليها وجعلها مشروطة بعدم عملك في أي مكان آخر طوال فترة الإجازة.

لم تهتم بالشرط كثيرا..فكل ما كنت تسعى إليه هو الحصول على إجازة لإتمام مشروعك.

لم تعد تطيق رؤية أي شخص سوى مريم التي أثبتت لك أنها أحسن الوحشين..سمحت لمريم بزيارتك في شقتك والإقامة معك في بعض الأحيان.

تخلصت مريم من كل أعمالها وحصلت هي الأخرى على إجازة لمدة شهر لرعايتك.

لم تقترب منها كثيرا طوال هذه الفترة و لم يحدث أن تركت نفسك لرغبتها سوى مرات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة.

ما فعلته مريم من أجلك و شعورك بأنها أفضل من حولك جعلك تستبعدها من قائمة المطلوبين لديك.

كانت مريم تشعر بأن هناك شيء ما أصابك لم تعد تضحك كعادتك..معظم الوقت تجلس صامتا تنظر إلى شيء ما في الفراغ المطلق.

كنت تلاحظ أنها متخوفة جدا عليك، خاصة بعد أن أيقنت أنك على حافة الجنون و لم يعد يفصل بينك وبينه سوى أيام قليلة.

لهذا كنت تحاول أن تزيل هذه الفكرة من عقلها قدر المستطاع،

بدأت يا خالد خلال تلك الأيام في الإعداد لعملك ووضع خطة عمل تجعلك تنتهي منه قبل ليلة رأس السنة ليكون خير هدية تقدمها لهم جميعا في مثل هذا الحدث المهم.

نفذت يا خالد عملك دون أية رحمة أو شفقة، والآن تشعر بأنك نادم على ما فعلت..هل أنت بالفعل نادم يا خالد وهل يبقى وقت للندم؟.

٣

انتهزت فرصة انتهاء إجازة مـــريم وعودتهـــا إلى عملـــها واتصلت بنور لتطلب منها أن تأتي إليك بكل متعلقاتك الـــتي توجد عندها. لم تبد نور أي انزعاج من طلبك..اكتفت فقط بسؤالك عن السبب فأخبرتها بأنك مضطر للجلوس في منزلك لفترة لأنك تعد مشروعا مهما.

بعد ما يقرب من ثلاث ســـاعات كانـــت نـــور تقـــف أمامك..كانت هذه هي المرة الأولى التي ترى فيهـــا شـــقتك أبدت إعجابها بها.

زال هذا الإعجاب عندما دخلت إلى غرفة النوم واكتشفت وجود بعض الملابس الداخلية "الحريمي" متناثرة على كرســـي بالحجرة.

لم تسألك نور عن صاحبة هذه الملابس لكنك شعرت بأن هذا المنظر قد طعنها في أنوثتها، لم تهتم لأنها هي التي منحـــت أنوثتها لغيرك.

جلست نور إلى جوارك وبدأت تتحدث معك عن أسباب الفتور الذي أصاب علاقتكما..كلامها كان يوحي بأنها ترغب في استعادة أنوثتها أو إثبات أنها مازالت أنثى يرغبها الرجال.

بالرغم من أنك لم تكن ترغب في فعل أي شي معها لكنك تركت لها الفرصة لتفعل كل شيء .. ارتمت في أحضانك قبلتك بعنف..عادت إلى طبيعتها الأولى التي افتقدتها في لقاءاتكم الأخيرة. أخمدت شهوتها وأخمدت شهوتك وانتهى الأمر سريعا.كنت تريد فعل هذا قبل أن تأتي مريم لأنك لا ترغب في جرح مشاعرها.. فمريم الوحيدة التي لم تفعل لك أي شي يؤذيك. طبعت نور قبلة على شفتيك قبل أن تهم بالرحيل وقالت لك: هعدي عليك تاني. لم تهتم بكلامها ورسمت على وجهك ابتسامة صفراء وأشرت إليها برأسك فيما يدل على موافقتك.بعد عدة ساعات أتت مريم..كان وجهها يبدو شاحبا وكان الإعياء واضحا عليها تماما، سألتها عما أصابها فأخبرتك بأنها تعرضت لحالة إغماء وذهبت للطبيب الذي أخبرها بأنها...

كان هذا هو الصدام الأول بينكما..صدمتك وصدمتها برد فعلك الذي لم تكن تتوقعه مطلقا منك. كانت مريم تعتقد أن الأيام الأخيرة قد طهرتك وجعلتك إنسانا..هل حدث هذا فعلا يا خالد؟، هل طهرتك الأيام يا خالد؟.

من الصعب على أي إنسان أن يحدد هذا..أنت فقط من تستطيع أن تفعل هذا..وعليك أن تعرف لأن رصيدك أوشك جدا على النفاد.

٤

كانت مريم في الأتيليه ترسم كعادتها..شعرت بدوار شديد أفقدها وعيها عندما أفاقت قررت أن تذهب إلى الطبيب الذي أخبرها أنها حامل في الشهر الثالث.

عندما أتت مريم إلى المنزل لتخبرك بهذا الخبر الذي لم تكن تعرف هل ستفرح به أم لا.

قالت لك إنها حامل تبدلت ملامحك وتغيرت تماما و قلت لها بضحكة شيطانية "من مين؟".

كانت كلماتك قاسية جدا عليها..جعلتها تشعر بأنها فتاة ليل ترمي نفسها في أحضان من يدفع ثمنها.

تمالكت مريم نفسها وحاولت أن تحبس دموعها وهي تقول لك "منك طبعا"..صدمتها مرة أخرى عندما قلت لها إنك لا تستطيع أن تضمن هذا فمن يدريك أن هذا الجنين لعادل أو لغيره.

قلت لها ماذا يدريك أنها لم تمارس الجنس مع غيرك كيلا تمل منك مثلما فعلت مع عادل من قبل.

كلامك جعلها تنهار..ظلت تبكي حتى فقدت الوعي مرة أخرى..عندما أفاقت ووجدتك إلى جوارها ظلت تقسم لك بأن هذا الجنين ابنك وأنها لم تعط جسدها لأي شخص غيرك منذ أن ارتبطت بك.

حاولت أن تتمالك أعصابك لأن ضعفها مس قلبك وجعلك تشفق عليها فقلت لها في هدوء "كل ده مش مهم..المهم دلوقتي إنك تخلصي منه". نظرت لك مريم وعلامات الحسرة على وجهها وأخبرتك وهي تبكي أنها موافقة على فعل أي شيء من أجلك حتى لو كلفها هذا حياتها.

حاولت مريم بعد ذلك أن تقنعك بالتراجع عن الفكرة لأن هذا قد يعرض حياتها للخطر فالحمل في شهور متأخرة والتخلص من الجنين لن يكون بسهولة.

لم توافق و لم تقتنع وأخبرتها بأن هذا أفضل لها ولك لأنك لن تعترف بهذا الجنين أبدا.

بحثت بنفسك عن طبيب بين أصدقائك يخلص مريم من الجنين إلى أن وجدت..عندما ذهبت مريم إلى الطبيب كانت قد دخلت في شهرها الخامس مما جعله يخبرك بأن هذا فيه خطر كبير على حياتها وهو لن يستطيع فعل هذا إلا بالحصول على موافقة كتابية منها بمثل هذه العملية كي يحمي نفسه من أي أضرار قد تحدث أو أية مسائلة قانونية.

لم يغير كلام الطبيب شيئا لديك..كنت تشعر بأنك تخلصت من كل مشاعرك الآدمية و لم تعد تهتم بحياة مريم ووجودها على ظهر الحياة.

وافقت مريم ومضت على الإقرار ودخلت حجرة العمليات لتجري العملية.

قبل أن تدخل نور غرفة البنج نظرت إليك نظرة كانت تعبر عن كل ما بداخلها من صدمة وتعجب من كونك أصبحت لا تحمل أية مشاعر آدمية.

لماذا كنت هكذا يا خالد لماذ لم تعد لديك رحمـــة؟..هـــل تعتقد يا خالد أن الآلهة لا يفعلون شيئا إلا التحكم والـــسيطرة على العالم؟..من قال لك يا خالد إن الآلهة لا يعرفون الرحمة؟.

دخلت مريم حجرة العمليات لإجهاض حملها..هل تـــشعر بأنك فعلت ما تريد؟..هل تشعر براحة الضمير الآن؟.

٥

ماتت مريم ونجح الطبيب بصعوبة في استخراج تصريح دفن كتب فيه أنها توفيت نتيجة انفجار الزائدة الدودية مما جعل السم ينتشر في كل جسدها.

ماتت مريم وأنت السبب في موتها.. لم تهتم يا خالد إلا بنفسك ومصلحتك فقط..ماتت مريم و لم تفعل لها شيئا إلا أنك احتفظت بسرها الذي دفن معها.

أدخلك موت مريم يا خالد في حالة اكتئاب شديدة.. لم تعد تفعل أي شيء سوى [illegible]وعك الذي قارب على الانتهاء.

لم تعد ترى أي شخص أو تقابل أي إنسان..لازمت شقتك وأهملت نفسك حتى أصبحت رجلا أشعث أغبر.

كان من يراك يا خالد يحسبك واحدا من أهل الكهف..شخص غاب عن العالم لسنوات ثم عاد من الموت.

لم تكن لديك أية رغبة إلا في الانتهاء من عملك.. لم تعد لديك أية رغبة في الحياة.. لم تفارق مريم ذهنك ولو للحظة واحدة.

كنت تراها أمامك دائما كانت تحدثك وتدعو عليك..كانت تتهمك بأنك أنت السبب في موتها..كانت تقول لك إنها أحبتك بقوة..وإنها كانت سعيدة لأنها تحمل في داخلها شيئا منك.

تمنت مريم أن تصبح زوجتك..كانت الإنسان الوحيد فيمن عرفت لديه رغبة في العودة عن كل أخطائه.

ضحيت بمريم يا خالد بمنتهى السهولة..تركتها للموت الذي كان أرحم بها منك..أنت الإنسان الوحيد الذي لم تخنه مريم.

الشخص الوحيد الذي تمنت أن تجعله أفضل إنسان في الكون..شاركتك أحلامك وطموحك وتمنت لو كانت لديها القدرة لتحقق لك كل أحلامك.

ضحيت بها يا خالد دون أن تحصل على مقابل..كانت هذه هي المرة الأولى منذ دخولك هذا العالم التي تضحي فيها بشيء دون مقابل.

هل تعرف يا خالد المقابل؟..لماذا تركتها تضيع منك؟، لماذا تركت شبحها يرعبك كل يوم حينما تراه يقترب منك؟.

كنت تعتقد أنها أتت لتقتلك، لكنك كنت تكتشف أنها أتت لتقبلك..كان شبحها يقبلك بالرغم من كل ما فعلته بها.

حتى بعد أن ماتت ظلت تحبك.

ماتت مريم لتترك لك الدنيا وطموحك وأحلامك..رحلت مريم لتحميك من الفضيحة..ضحت بنفسها لتحافظ على صورتك أمام أسرتك الطاهرة.

٦

بعد أيام من موت مريم عرفت أن نور ومنار وشيري قد تم القبض عليهن في حفل صاخب، ووجهت لهن النيابة تهمة الدعارة.

وبعدها بأيام عرفت أن علاقات نور ومنار ووجود العديد من السيدات أصحاب المقامات الرفيعة في الحفل جعل ملفات القضية تغلق.

ووصلت بنور "البجاحة" لدرجة أنها رفعت قضية تطالب فيها بتعويض عن الأضرار النفسية التي لحقت بها عند اتهامها بتنظيم حفل للشذوذ الجنسي.

ضحكت جدا عندما عرفت هذا..كانت هذه هي المرة الأولى التي تضحك فيها بعد موت مريم.

سأل عليك طارق إسماعيل كثيرا وقرر أن يأتي لزيارتك بعد أن علم بما أصابك بعد موت مريم.

عندما أتى إليك أخبرك أنه قارب على الانتهاء من كتابة مذكراته.

لم تهتم بالأمر كثيرا..طلب منك طارق أن تقطع إجازتك وأن تعود إلى عملك لأن هذا قد يساعدك على الخروج من الأزمة فوافقته.

عدت إلى عملك مرة أخرى.. لم تعد تشعر بقدرتك على فعل أي شيء..اكتفيت فقط بإدارة القسم ومتابعة ما يحدث وكأنك محرر شاب يراقب أساتذته كي يتعلم منهم.

أصبحت حياتك روتينه جدا..صباحا في الجريدة..بعد خروجك من الجريدة تجلس أمام اللاب توب بأية قهوة لتواصل العمل بمشروعك ثم تذهب إلى أي بار للسكر حتى الصباح.

فقدت شهيتك ووزنك ورغبتك في الحياة..كان من يراك يعتقد أنك شبح بني آدم لم يعد يربطه بالحياة سوى ذلك الهيكل العظمي الخالي من اللحم والدماء.

كنت تنتقم من نفسك لما فعلته بمريم.. لم تكن تحبها لكنك كنت تشعر بأنك ظلمتها..كنت تتخيل أنك لست من القذارة لدرجة أن تقتل إنسانا.

عندما كنت تشعر بأن مريم "وحشتك" كنت تذهب إلى قبرها وتدفع أموالا كثيرة لأي مقرئ تجده أمامك ليقرأ ما تيسر له من كتاب الله.

حتى كتاب الله لم تعد تحفظ منه شيئا.. لم تعد قادرا على النطق بأي حرف من حروفه.

مرت الأيام واقترب عملك من نهايته..بدأت تشعر بنوع من الراحة لاقترابك من فعل هذا..كنت تشعر بأن هذا المشروع هو صك الغفران الذي سيمنحك الرحمة والخلود.

مضت الأيام بسرعة وعرفت أن طارق إسماعيل إلهلك المقدس متهم في قضية وأن هناك تحقيقات تجري معه الآن بإدارة أمن الدولة.

كان طارق سعيد جدا بما كان يشعر بأنه أنهى مرحلة النفاق ودخل مرحلة اللعب مع النظام، القضية التي تناولتها الصحف ساهمت في زيادة شعبيته وزيادة توزيع الجريدة.

في هذه المرحلة كان طارق يكتب كل يوم ويتفنن في اصطياد تصريحات المسؤولين ليسخر منها.

قال لك طارق مرة وهو يحكي لك عن آخر ما توصل له في مذكراته أنه اقتنع تماما بعدم نشر هذه المذكرات في حياته لأنه لا يريد أن يموت ـــ منتحرا من شرفة شقة لندن التي أصبح يذهب إليها كثيرا هذه الأيام ـــ .

ضحكت عندما سمعت منه هذا وأصبحت على يقين تام من أنه دخل في لعبة القط والفار مع النظام.

لم تكن تعرف سر هذا التحول الذي حدث لطارق..فهو صاحب دعوة الوسطية ومسك العصا من المنتصف.

كان طارق يحب أن يرضي جميع الأطراف، لكنه أصبح الآن يتعمد استفزاز النظام.

كان يستفزهم فعلا..احترت في أمره وفي الأسباب التي كانت تدفعه لهذا، ربما كان يبحث هو الآخر عن صك الغفران مثلك.

انتهيت يا خالد من مشروعك وقمت بتسليمه لإحدى دور النشر،لنشره وتوزيعه..ولكن هل تعتقد أنك حصلت على صك الغفران أم لازال الرب غاضبا منك؟.

٧

وصل إلى علمك أن عمر حصل على منحة من الاتحاد الأوروبي لعمل مؤسسة تهتم بحقوق الإنسان..بالطبع لم يفعل عمر هذا للدفاع عن حقوق الإنسان ، و لكن للاستفادة من الأموال الطائلة التي سيحصل عليها من هذه المنحة.

استقال عمر من جريدته وتفرغ للعمل في مجال حقوق الإنسان على الطريقة الأوروبية التي جعلته يربح أكثر.

استبدل عمر شقة وسط البلد بأخرى في شارع جامعة الدول العربية واشترى سياره **bmw** و اختار مقرا للمؤسسه بجاردن سيتي.

قرر عمر أن يلعب اللعبة "صح"، وأن يذهب إلى جنة الإتحاد الأوروبي ليحصل من خزائنها على ما يريد.

فهم سيدفعون له طالما أنهم يدركون أنه لا يفهم في أي شيء وعلى استعداد لفعل أي شيء من أجل مصلحته.

بدأ عمر في إقامة مؤتمرات حول حرية المرأة والأقباط والأقليات والمثليين وغيرها من المؤتمرات التي تسعد الاتحاد الأوروبي كثيرا.

نجح عمر في الحصول على ثقتهم ببراعة.. لم تكن تعرف هذه المعلومات عن عمر عندما بدأت في كتابة مشروعك

وبمجرد تأكدك منها سارعت بتعديل عملك وإضافة المعلومات الجديدة إليه.

كلما نجحت في اكتشاف شيء عن شخص كنت تشعر بسعادة بالغة..وكلما رأيت واحدا منهم أو جلست معه كنت تضحك..تضحك بهستيريا كالمجانين.

لدرجة أن معظمهم بدأ يشك في قدراتك العقلية، لم تهتم بكلامهم عنك وأخذت في الاستمرار في عملك بصمت وسرية تامة.

حاولت نور في تلك الفترة الاقتراب منك..كانت تأتي إليك كثيرا في منزلك، تمارس معك طقوسا ثم ترحل لتعود بعد أيام لتفعل نفس الشيء.

بدأت تشعر كأنك قط أو حيوان تتركه نور في شقة بمفرده وتذهب إليه كل بضعة أيام لتلقي له بالطعام كيلا يموت ثم ترحل.

في هذه الأيام كانت الرؤية أوضح لك..زال انبهارك بهذا العالم وأصبحت ترى الآلهة على طبيعتها، خاصة بعد أن اقتربت منهم وشاركتهم في ملكوتهم.

لم تعد تتمنى أن تصبح مثل أي واحد منهم..كنت ترى نفسك أفضل منهم بكثير، تبدلت الهالة النورنية التي كانت تحيط بهم بأخرى نارية.

لم تعد الآلهة، آلهة؛ اتخذت قرارا في نفسك بأنك عنـــدما تتربع على عرش زيوس العظيم ستطردهم جميعا مـــن جنتـــك وستحرمهم من العيش في ملكوتك.

كنت تنوي فعل هذا يا خالد، ولكن هل تعتقد أنك فعلتـــه بالفعل؟.

مع اقتراب نهاية العام الثالث أصبحت أكثر ضعفا..كنت تسرح كثيرا في ملكوت الله..لم تعد لديك قدرة على التركيز أو تذكر أي شيء.

كثيرا ما كنت ترى فضاء شاسعا أمامك..فضاء مظلم لا ترى فيه سوى بعض الأشجار المترامية على جانبي الطريق الذي لا تعرف إلى أي شيء ينتهي.

كان هذا الفضاء يمثل لك الخلاص..كنت تشعر بأنك ستسير في طريق مثله قريبا؛ في كل يوم كنت تكتشف شيئا جديدا في هذا الفضاء؛ كنت تحاول الوصول إلى ملامح الطريق للتعرف بأماكن الحفر والمطبات الصناعية التي قد تعوق سيرك.

سيطرت عليك في تلك الأيام حالة من الصداع الشديدة لم تعد المسكنات تملك لديها القدرة على التغلب عليها..في بداية الأمر كان يزعجك، لكنك مع الوقت تعودت عليه.

كنت تشعر بأنك اشتقت لمريم جدا فلم تعد تزورك في منامك مثلما كانت تفعل..انقطعت مريم عن زيارتك منذ ما يقرب من شهر ونصف.

حاولت أن تستعيدها فكثيرا ما ذهبت إلى قبرها ترجوها أن تعود إليك..أن تسامحك.

بعد أسبوع من زيارتك المتواصلة لقبر مريم أتت إليك..طلبت منها أن لا تنقطع عن زيارتك مرة أخرى فأخبرتك أنها لن تأتي إليك مرة أخرى لأنها أصبحت تكره هذا العالم بعد أن تعودت على عالمها الجديد الخالي تماما من الكذب والخداع والغش.

أخبرتها أنك تفتقدها كثيرا وأنك تريد أن تتزوجها لتنجب منها العديد من الأطفال..ضحكت ورحلت، ولكنها أخبرتك قبل أن ترحل أنها لن تعود مرة أخرى وإذا أردت أن تراها فعليك أن تذهب إليها.

استيقظت من نومك وأنت تبكي..نظرت حولك تبحث عنها فلم تجد سوى نور التي كانت تنام إلى جوارك عارية تماما.

ارتديت ملابسك بسرعة و ذهبت إلى مريم في المقابر ترجوها أن تعود إليك لتخلصك مما أنت فيه.

فعلت هذا كثيرا ولكن دون جدوى..في الأيام الأخيرة أصبحت تسمع مريم تغني في أذنك أغنيه أم كلثوم فات الميعاد كعادتها..لم تكن تسمع من الأغنية سوى مقطع واحد يقول "وعايزنا نرجع زي زمان قول للزمان ارجع يا زمان".

كان هذا بمثابة رسالة واضحة من مريم تدل على أنها لن تعود إليك أبدا يا خالد..هل تشعر بالفعل بأنك تحب مريم وأنك تريد أن تتزوجها؟

عليك الان أن تعرف فلم يعد هناك وقت لأي شيء.

كل الأشياء انتهت..والظلام خيم على حياتك..ورائحة مريم في موتها أصبحت تشمها في كل شيء.

راجع حساباتك يا خالد فلم تعد لديك سوى فرصة واحدة..إما أن تخرج منها فائزا أو تخسر كل شيء..وقتها لن تملك القدرة حتى على الندم.

٩

أصبحت الأيام مملة كلها تشبه بعضها..كنت تتعجل قدوم العام الجديد لتريح ضميرك وتخلص نفسك من كل ما أنت فيه.

كنت تذهب إلى دار النشر باستمرار كل يوم لتتابع مشروعك..أخبرك صاحب الدار أن عملك قد أوشك على الانتهاء ويمكنك طرحه في الأسواق قبل نهاية العام بكثير.

رفضت بشدة وأخبرته أن لا يفعل هذا كيلا يفسد كل شيء.

بعد أن خرجت من الدار قررت أن تذهب إلى مكتب صديقك المحامي..قررت أن تصفي كل أملاكك في مصر.

كانت لديك رغبة قوية في السفر إلى أية دولة لا يعرفك فيها أحد لتقضي هناك بقية عمرك..أخبرته بأن حسابك في البنك قد اقترب من الربع مليون جنيه بالإضافة إلى حساب آخر بالدولار كنت قد فتحته لاستقبال راتبك من القنوات الفضائية الأجنبية التي كنت تعمل مراسلا لها بمصر.

طلبت منه أن توزع كل تركتك على أهلك وفقا للشرع..كتبت تنازلا لكل شخص على أن يتصرف فيها بعد وفاتك.

كنت لا تعرف لماذا تفعل هذا..تعجبت قبل المحامي من طلبك هذا خاصة وأنك قررت الهجرة إلى أية دولة وهو ما

يعني أنك ستحتاج إلى أموال لتعيش بها هناك، طالما أنك قررت عدم العمل بأية جريدة مما كنت تراسلها.

بالرغم من أن المحامي لم يجد مبررا لتصرفاتك إلا أنه اضطر لموافقتك على طلباتك، فلم يكن يملك إلا النصيحة فقط.

بعد أن تركت المحامي اتصلت بنور وطلبت منها أن تـــأتي لزيارتك..فعلت هذا وأتت إليك وهي سعيدة لشعورها بأنـــك لازلت راغبا فيها.

الأيام الأخيرة أثبتت لك أن نور لم تتخـــل عـــن طبيعتـــها الجنسيه ولكنها أصبحت تحب أن تجمع بين المتعة التي تحـــصل عليها من الرجال والنساء في نفس المرة.

طلبت من نـــور أن تـــشاركك في رحلـــة إلى الأقـــصر وأسوان..فمنذ طفولتك وأنت تتمنى أن تفعل هذا..وكان هذا تقريبا هو آخر أمل لك لم تحققه في حياتك.

وافقت نور دون تردد وقررتما السفر معا صباح اليوم التالي.

عندما رحلت نور سألت نفسك كثيرا لماذا فعلت هذا؟..لم تجد الإجابة كعادتك في الأيام الأخيرة التي أصبحت تفعل فيها أشياء لا تجد لها أي مبرر.

عندما شعرت بأن تفكيرك في سبب دعوتك لنور سيجعلك تدخل في حالة نفسية سيئة كنت ترغب في الـــتخلص منـــها قررت أن تنسى الأمر برمته.

والتعامل معها كأنها صديقة قررت أن ترافقك كيلا تـــشعر بالملل وتفقد الرحلة سحرها.

في صباح اليوم التالي سافرتما معا بالقطار..كنت قد حجزت قبل أن تذهب بأكبر الفنادق هناك.

قضيت وقتا ممتعا وسط الآثار الفرعونية التي تمنيت كثيرا أن تراها وتجلس وسطها.

أثناء الرحلة أخبرت نور بأنك انتهيت من كتابة أول رواية لك وأنها قيد الطبع حاليا.

فرحت نور بالخبر جدا لدرجة أن فرحتها أنستها أن تسألك عن محتواها..ارتحت لهذا فلم تكن تعرف ماذا ستقول لها إذا ما سالتك عن هذا.

مرت الأيام سريعة..شهدت حالتك النفسية تحسنا ملحوظا لفت انتباه كل من حولك..أسعد نور هذا لـــشعورها بأنهـــا عادت لتضفي السعادة على حياتك.

كان هناك شعور غريب يسيطر عليك في تلك الأيام..شعور جعلك تشعر بأن هذا التحسن ما هو إلا صحوة الموت.

لم تكن مريضا بأي مرض عضوي..وصـــحتك أصـــبحت أفضل مع قرارك بالتخلي عن شرب الخمور بكل أنواعها.

كان هناك شيء يدور بعقلك لا تعرفه..ولكنك الآن عرفته يا خالد وتأكدت منه تماما..و لم يتبق سوي أن تخبرني ماذا تنوي أن تفعل في الأيام القليلة القادمة؟.

١٠

أول شيء فعلته عندما عدت إلى القاهرة هو الـــذهاب إلى دار النشر للتعرف بآخر أخبار الرواية..أخبرك صاحب الدار أن عملية الطباعة أوشكت على الانتهاء وأن مصمم الجرافيك قد انتهى من تصميم الغلاف وفقا لاقتراحك ورؤيته الخاصة.

اصطحبك لمشاهدة الغلاف على شاشة الكمبيوتر..أعجبك جدا، خاصة وأنه معبر ومتناسق مع اسم الرواية ومحتواها.

شكرت الرجل على مجهوداته وطلبت منه أن يعد للروايـــة حملة دعاية كبيرة..أخبرك أن هذا قد يتكلف الكثير بالإضـــافة إلى أن هذا الأمر غير مألوف.

أكدت له أن لا يهتم بموضوع التكلفة وكل ما عليه هـــو الإعداد لحملة إعلانية ضخمة وعلى أوسع نطاق.

عندما اتصلت بوالدك عقب عودتك من السفر أخـــبرك أن أمك مريضة منذ فترة ولم تشهد حالتها أي تحسن بالرغم مـــن أنه استقدم لها العديد من الأطباء.

أزعجك الخبر جدا وانطلقت مسرعا إلى منزلك..وجـــدت أمك ملقاة على السرير لا تنطق ولا تكاد تراك.

سألت والدك عن تشخيص الأطباء لحالتها، فأخبرك أنهم لم يجدوا تفسيرا لها..لم تكن أمامك أية فرصة للتفكير، قررت أن تذهب بأمك إلى أكبر المستشفيات بمصر.

قام الأطباء بإجراء فحوصات طبية شاملة عليها..كان قلبك يخفق من الخوف، فلم تكن مستعدا لسماع أي خبر سيء عنها. بعد ما يقرب من سبع ساعات، قرر الأطباء وضعها في العناية المركزة..وأكد لك أحدهم أنها مصابة بسرطان في الأعصاب وهو مرض خطير ونادر الحدوث مما يجعلهم عاجزين تماما أمامه.

أكد لك الطبيب أيضا أن حالتها متأخرة وأن كل ما سيفعلوه هو محاولة إزالة الألم عنها..كانت كلمات الطبيب واضحة تماما.

قال لك بأسلوب رقيق إن أمك ستموت..قد يحدث هذا اليوم أو غدا أو بعد غد..قد تموت أمك في أي وقت وتتركك مثلما تركتك مريم.

أكدت لك هذه الأيام أن الحزن مكتوب عليك وأنه شيء لا مفر منه..بالرغم من أن كلام الطبيب كان يؤكد أن حالتها متأخرة جدا وأنه لا توجد جدوى من العلاج إلا أنك تمسكت بالأمل..كنت تقول لنفسك طالما أنها تتنفس وقلبها ينبض فلا يوجد مستحيل.

لم يجد الطبيب سوى الموافقة على طلبك وبدء العلاج معها بالرغم من أنه كان على يقين تام من أن أمك الآن تحتضر فما

هي إلا أيام وستفارق عالمك لتلحق بمريم قد يتلقيان ويجلسان في انتظارك معا.

ساءت حالة أمك ودخلت في غيبوبة لم تكن تفيق منها إلا لساعات معدودة سرعان ما تعود بعدها إلى نفس الحالة مرة أخرى.

كنت مشغولا جدا بالرواية التي اقتربت على الانتهاء و بمتابعة الحملة الإعلانية التي بدأت في الظهور.

مع أول إعلان نشر في الصحف يحمل اسم الرواية ـــ أصنام المدينة ـــ انهالت عليك الاتصالات والمكالمات والتي لم تخرج عن التهنئة المصحوبة بتساؤلات عن طبيعة الرواية وعن محتواها.

لم تكن ترد على أي سؤال سوى بعبارة "الله يبارك فيك..معلش اعذرني أصل أمي مريضة وأنا مشغول معاها" ثم تنهي المكالمات.

مع ازدياد المكالمات قررت أن تغلق هاتفك بشكل نهائي حتى تتخلص من الإزعاج الذي لم تكن تضعه في حسابك.

مرت الأيام يا خالد وحالة أمك تزداد سوءا يوما بعد يوم..اقتربت روايتك من الصدور واقترب حلمك من التحقق.

في بداية مشوارك يا خالد كنت مستعدا لدفع فاتورة نجاحك أيا كانت..ولكن بعد أن عرفتها الآن هل تعتقد أنك قادر على دفعها؟.

١١

كانت الأيام الأولى من الشهر قبل الأخير تمر ببطء شديد..وقتك كان موزعا بين الجريدة ودار النشر والمستشفى لمتابعة حالة أمك التي لم تصل لطبيعتها، فهي يوما تكون بصحة جيدة وأسابيع تغيب في غيبوبة طويلة الأمد.

لم تكن الأيام الأخيرة من الشهر مثل الأولى فبعد انتهاء الأسبوع الأول أخذت الأيام تمر بسرعة، كذلك تلاحقت الأحداث والمفاجآت.

أول مفاجأة كانت صدور حكم بحبس طارق إسماعيل لمدة ثلاثة أعوام مع تغريمه مبلغ ٥٠ ألف جنيه.

أما الثاني فكان قرار نور وشيري ومنار الهجرة لكندا بشكل نهائي — يبدو أنهن قررن الاستفادة مما تتمتع به كندا من حقوق للمثليين — كنت لا تستبعد أن قرارهن بالهجرة كان بغرض الزواج من بعضهن البعض، لم تهتم بالأمر كثيرا لأنك لم تعد تهتم بأمر أي شخص، ووصلت إلى قناعة بضرورة فصل روحك عن هذا العالم والتحليق بها في فضاء الكون.

كل ما كنت مهتما به هو موعد سفرهم، و عندما تأكدت من أنه لن يكون قبل منتصف العام الجديد ارتحت نفسيا جدا.

أما عمر فأصبح حديث العديد من صحف المعارضة التي أخذت في اتهامه بالعمل لصالح دول أجنبية وأنه يسعى لتشويه

صورة مصر بالخارج ــ كنت لا تعتقد أن صورة مصر تحتاج إلى تشويه أكثر مما هي فيه ــ لهذا لم تهتم بما قالته الصحف عن عمر وعن كونه يسعى لعمل فتنة طائفية مستندة علـى ذلـك بعلاقة عمر بالعديد من أقباط المهجر الذين لا يتوقفون عن اتهام الحكومة باضطهاد الأقباط.

حاولت كثيرا أن تفهم معنى اضطهاد الأقباط، لم تكن ترى أنهم مضطهدون مطلقا، وأن كل هذا الكلام مجرد ادعـاءات كاذبة..فالشعب المصري شـعب واحـد ومتماسـك عـبر العصور..حاولت أن تبحث في ذاكرتك عن أي شخص سأل الآخر عن ديانته يوما أمامك.

أو رؤيتك لأي فرد أو مجموعة يقومون بضرب وتعـذيب واضطهاد شخص لأنه قبطي..لم تجد في ذاكرتك عن شـخص فصل من وظيفته لأنه مسيحي أو شركة أو مؤسسة حكوميـة علقت على بابها عبارة "لا توجد وظائف للأقباط" .

على العكس تماما وجدت أدلة في ذاكرتك تدل على أننـا شعب واحد لا فرق بين مسلم ومسيحي..تذكرت العديد ممن وقفوا إلى جوارك في بداية حياتك وكانوا أقباطا.

تذكرت جارك "عم فؤاد" الذي طالما وقـف إلى جـوارك وساعدك واعتبرك مثل ابنه الذي لم ينجبه.

لم تكن حالتك النفسية تسمح بالبحث في موضـــوع تافـــه يدعيه الغرب لصنع فتنة بـــالبلاد، لهـــذا قـــررت أن تتـــصل بأصدقائك لبحث معهم تفاصيل الإعداد لليلة رأس السنة.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تبدأ أنت فيهـــا الإعـــداد بنفسك للحفل.. لم يلاحظ أي شخص هذا، وأخـــذ الجميـــع يقترح الأفكار والتي لم يتم الاستقرار على أية واحدة منها.

اقتربت يا خالد النهاية وحالتك النفسية تزداد سوءا..أعتقد أنك اقتنعت الآن أنك لن تستطيع دفع الفاتورة فلقـــد فاقـــت قدراتك وتوقعاتك.

كانت مريم بذاكرتك دائما، تراها كلما رأيت أمك علـــى فراش المرض تناديك و تقول لك إنك "وحشتها جدا".

اقتربت النهاية يا خالد و عليك الآن أن تستعد لتصفية كل حساباتك خاصة بعد أن اكتشفت أنك مدين بالكثير وعليـــك الآن دفع الحساب كاملا .

١٢

مع اقتراب النهاية كانت ذكرياتك تتحـــرك دائمـــا أمـــام عينيك..رأيت حياتك وكأنها فيلم سينمائي يتحرك أمامـــك في كل لحظة.

تذكرت أحلام طفولتك وشبابك..تذكرت أيام عملك في مقهى الفرسان وعم سعيد.

تذكرت كل شيء أول صلاة تركتها.. أول يوم رمـــضان أفطرت فيه.. أول مرة لمست فيها فتاة.. أول علاقـــة كاملـــة كانت لك مع أنثى..أول شخص استفدت منه..أول إنـــسان خدعته..أول مرة قررت أن تبيع فيها نفسك.

كنت تضحك وتضحك كلما تذكرت هذه الأشياء..كنت تضحك وتضحك ثم تبكي عندما تتذكر مريم التي قتلتها.

زادتك الأيام عزلة وحزنا وكآبة..لم تعد تهتم بطعامـــك أو بدوائك..لم تعد تهتم بشيء..حتى أمك لم تعد تطيق أن تراهـــا هكذا فلقد طال مرضها.

كنت لا تتحمل كلمات المقربين حينمـــا يـــدعون الله أن يرحمها..رأيت في هذا دعاء عليها بالموت..كان أهون عليك أن

تراها هكذا على أن تضعها بيدك في التراب مثلما فعلت مع مريم.

مرت الأيام سريعا واقترب موعد حفل رأس السنة..ذهبت إلى دار النشر واتفقت مع صاحبها أن يقوم بتوزيع الكتب على المكتبات وأكشاك الصحافة صباح أول يوم في العام الجديد وحصلت منه على عدد من النسخ لتقوم بتوزيعها بنفسك على أصدقائك بالحفل.

قررت الشلة أن يكون الحفل بشقة نور كالعادة.. لم تمانع لأنك كنت تعلم جيدا أنك لن تستمر معهم كثيرا، فكل ما كنت تنوي فعله هو الذهاب وتوزيع الكتب ثم الرحيل في صمت بعد أن يقرأ كل واحد منهم ما فيها.

مع أول خطوة لك بداخل المكان تذكرت مريم.. كلما وقفت في مكان كنت تقف معها فيه كنت تسمع صوتها والكلمات التي كانت تهمس بها في أذنك و كأنك تراها.

عندما أعلنت عقارب الساعة نهاية الحكاية..قمت بتوزيع الكتب عليهم..كنت تشعر بمريم تتعلق بذراعك كعادتها..كنت تسمع صوتها وتتلمس يديها.

حصل كل واحد على كتاب وأخذوا في القراءة بعد لحظات تغيرت ملامحهم بعد أن اكتشف كل واحد فيهم أنك قمت بفضحه في روايتك.. لم تترك شيئا يا خالد إلا وذكرته فضحتهم جميعا.

كتبت عن قذارتهم ونفاقهم وضمائرهم التي كانت تباع لمن يدفع أكثر..كتبت يا خالد عن علاقتهم ببعضهم البعض وخيانتهم لبعضهم البعض.

بعد دقائق من الصمت نظرت إليهم جميعا وأخذت في الضحك المتواصل دون انقطاع ثم سحبت مريم من يدها ورحلت بها إلى مترلك لتقضي معها ليلة رأس السنة مثلما فعلت في العام الماضي.

عندما دخلت إلى شقتك يا خالد أخذت تحزم أمتعتك وأنت تستعد للسفر والهجرة إلى خارج البلاد..قررت أن تقضي مع مريم ما تبقى من حياتك..قررت أن تتزوجها وان تعوضها عما فات..قررت أن تتخلى عن ملكوتك بعد أن حققت كل شيء وكتبت لنفسك الخلود.

وقع نظرك على مسدسك الذي أتت لك نور به ضمن الأشياء التي أتت بها من مترلها..أمسكت به برقة بالغة وكأنه طفل.

كان مسدسك يذكرك بطفولتك وأمك التي كانت تشتري لك كل عيد مسدس مية وكنت تتعمد أن ترشها بالماء الذي فيه لتجري خلفك في محاولة للإمساك بك..وكنت تهرب منها وتقفز مثل البهلوان، وعندما تتمكن منك كان تضمك إلى حضنها وتستمر في تقبيلك والدعاء لك..لا تستطيع فعل هذا الآن يا خالد فلم تعد تملك من براءة الأطفال شيئا ومسدسك

ليس لعبة وأمك لا تستطيع أن تضمك إلى صدرها الآن، لأنها بحاجة إلى من يضمها إلى صدره..إلى من يخفف عنها آلامها.

أمسكت بمسدسك يا خالد وجلست على كرسيك وأجلست مريم على رجلك كالأطفال..أخذت تقلبه في يدك كثيرا وكأنك تتمنى أن يتحول إلى لعبة طفولتك.

أغمضت عينك مستسلما ومستمتعا بمداعبة مريم لشعرك..كنت ترى يا خالد نفس الطريق الذي لا ينيره سوى ضوء القمر، لكنه كان هذه المرة مفروشا بالورود..رأيت مريم في نهايته ترتدي فستان الزفاف وإلى جوارها أمك تحضنها وتقبلها، كلتاهما كانت تنادي عليك..كانا يستعجلاك للقدوم لتزف إلى حبيبتك التي تنتظرك.

عندما اقتربت رأيت مريم أجمل من أية مرة رأيتها فيها..وقفت تنظر إليها بسعادة بالغة، لكن أمك جذبتك من ذراعك واحتضنتك وأخذت تقبلك وتدعو لك مثلما كانت تفعل معك في طفولتك.

شعرت براحة لم تشعر بها من قبل..شعرت براحة صاحبها ألم ممتع نتيجة اقتحام رصاصة من المسدس إلى قلبك.

انتهي كل شيء يا خالد وفعلت كل ما تريد بعد أن عرفت كل شيء.. لم يتبق لك الآن إلا أن تعرف من أنا!..................